الفصل الأول

هيكل الموضوع والإطار التأريخي

المبحث الأول : تحديد الموضوع

المبحث الثاني : مصادر الفكر اليهودي

المبحث الأول : تحديد الموضوع

المطلب الأول : مفهوم الفكر

المطلب الثاني : ماهية الفكر اليهودي

المطلب الأول

مفهوم الفكر

ما هو الفكر اليهودي ؟ كيف يتصدّى لمعالجة الأمور ؟ وما هى مصادره و مراجعه ؟ وما هى أطوار هذا الفكر

وطوابعه العامة ؟ أين يكمن تأثيره في أوساط القضية اليهودية ؟ ماهى تحولات هذا الفكر والأسباب التي تقف وراء هذه التحولات ؟..

أسئلة نحن في هذه الدراسة نثيرها ونحاول أن نقف عليها و نفكّك رموزَها ، ونحلّل المعطياتِ التي تتمخض عنها . والفترة التي تشملها هذه الأسئلة والمواضيع هي القرن التاسع عشر ، أي ندرس الفكر اليهودي في ذلك القرن .

في البداية من أجل ترسيخ أساسِ متين للمسألة لا بد من الرجوع الى تفسير و توضيح مفهوم(الفكر اليهودي) وماهيتِهِ و من ثمّ نحاول تناولَ مصادره ، لتكونَ هذه التوضيحاتُ بمثابة (خلفية معلوماتية) للدراسة ، حيث من الممكن الإلتفاتُ إليها مراراً في طول البحث.

في المبحث الأول و في هذا المطلب بالذات نبدأ بتأسيس هذه البداية الضرورية جرياً على العادة ، إذ إقامة الهيكل دائما تأتي بعد التأسيس .

أولاً : تعريف الفكر

في البداية نكتب عن مفهوم الفكر لغةً ومن ثم عرفاً أو اصطلاحاً كمفردة لها تفسير خاص في العرف الثقافي و العلمي ، ليكون مصطلح (الفكر اليهودي) واضحاً من الناحية البنيوية للكلمة ، وبعد ذلك نوضح المصطلح عبر ما يوحي به من معان فكرية و تأريخية.

جاء في لسان العرب أنّ الفكر " إعمال الخاطر في الشيء [1] " أي تناوله للشيء وتأمّله ونظره.

ويقول الرازي في (مختار الصحاح) " : التفكُّر التأمل، والاسم الفِكر و الفكرة ، والمصدر الفكر بالفتح .[2] "

و يقول الإمام الراغب الأصفهاني : " قال بعض الأدباء : الفكر مقلوب عن الفرْك لكن يستعمل الفِكر في المعاني ، وهو فَرْك الأمور وبحثها طلباً للوصول الى حقيقتها [3] " وجاء في المنجد " الفِكر ج أفكار : تردد الخاطر بالتأمل و التدبر بطلب المعاني ، ما يخطر بالقلب من المعاني ، يُقال (لي في الأمر فِكر) أي نظر و رؤية . [4] "

في كل هذه التعاريف اللغوية نرى أن الفكر جاء تعريفه مشتملاً على عدة معانٍ وتوضيحات مترادفة . و هذا يجعلنا نضع إطاراً وتحديداً مشتركاً بين كل هذه التعاريف لتوضيح مفهوم الفكر من الناحية اللغوية . فالتأمل ، وبحث الأمور طلباً للوصول إلى حقيقتها ، وتردد الخاطر بالتأمل والتدبر بطلب المعاني ، والنظر أو الرؤية ... كل هذه المعاني لها إتجاه لغوي مشترك و هو نظر ورؤية وتأمل المفكر في شيء . بغض النظر عن إذا كان هذا الشيء مادياً أو موضوعا ميتافيزيقياً . بقصد الوصول إلى حقيقة و ماهية هذا الشيء وفهمه من كل نواحيه الظاهرة والخفية ، ومن ثم وضع إطار واضح و قواعد مفهومة و معقولة له . هذا بنظري هو النتيجة المشتركة بين مصطلحات التأمل و التدبر و التناول للشيء ، والنظر أو الرؤية ، والعمل على توضيح حقيقة الأمور .... الخ

فضلاً عن ما قيل عن المفهوم اللغوي للفكر نقول : عملية النظر في الشيء وقراءة إطاره و محتواه هي المعنى الحقيقي للتفكير ، فالتفكير هو نشاط عقلي وذهني لإخضاع الأشياء المقصودة للمبادىء العقلية بقصد الوصول إلى حقيقة هذه الأشياء أو الحصول على أقرب تفسير لهذه الأشياء . وهذا يتم بعملية ذهنية مدروسة حسب الهدف المطلوب سواء كان هذا الهدف فهما أو تخطيطاً أو حل معضلة أو إتخاذ قرارٍ . والذي ينتج من

---

(1) **ابن منظور** ، **محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب ، دار صادر(بيروت) ،بدون سنة الطبع ، ط1 ، ج 5 ، ص65.**

(2) **الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر : مختار الصحاح ، التحقيق : محمود خاطر ، دار النشر(بيروت) 1415، 1995، ج1 ، ص 213.**

(3) **الأصفهاني ، العلامة الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ، ، التحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار العلم (دمشق) ، ط1 ، 1412هـ . 1992 م ، ص 643.**

(4) **المنجد في اللغة و الأدب و العلوم / المنجد في اللغة ، لويس معلوف ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت) ، ط17 ، بدون سنة الطبع ، مادة : فكر، ص 591 .**

هذه العملية و يكون النتيجة الأخيرةِ لِما توصل إليه المفكِر يسمّى بالفكر . والشيء المفكَّر عنه يكون صفةً للفكر حيث يقال (الفكر الفلاني) مثلاً : الفكر الإسلامي أو الفكر اليهودي ...

هناك تفسيرات كثيرة لكلمة (فكر) في المعاجم والكتب اللغوية ، لكنّنا اخترنا هذه الكتب المذكورة لأنها تتضمن المعاني المشتركة لكثير من التفسيرات الموجودة لكلمة (فكر) في الكتب الأخرى . أي أنها تُظِهر باعتقادنا تعريفاً ملخصاً و متضمناً لمعانٍ موجودةٍ في تفسيراتٍ كثيرة لكلمة (فكر) في كتب لغوية مختلفة .

والدارس حين يبحث عن المعنى اللغوي للفكر يرى أن كلمة (النظر) وردت في كثير من التعريفات لكلمة (فكر) ، بعض من اللغويين يرون أنهما (الفكر والنظر) مترادفان و البعض الآخر يرى أنهما يفيدان معنى واحداً و مدلولاً إتحادياً مشتركاً . مثلاً جاء في (كتاب المواقف) : " قال إمام الحرمين في الشامل: الفكر قد يكون لطلب علم أو ظن فيسمّى نظراً و قد لايكون فلا يسمّى به كأكثر حديث النفس . [1] " هنا يجب أن نقف وقفة قصيرة ..

الفكر هو محاولة المفكِر الذهنية لطلب العلم أو الظن حول مسألة مطروحة للتفكير ، فإذا فقدت هذه الخاصية (طلب العلم أو الظن) لا تسمّى العملية بالفكر بل تسمّى بالتخيّل ، لأن الفكر كما جاء في أكثر التعريفات لا يكون إلاّ لغرض طلب المعلومات و الحقائق ، وإذا كان الحال كذلك بالنسبة لِ (النظر) أيضا فإنهما (الفكر والنظر) يكونان متّحدين في المعنى . وهناك من العلماء من يقر بذلك . كما ورد في (كتاب المواقف) : " قال القاضي الباقلاني : النظر هو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن . [2] " في توضيح رأي الباقلاني يقول الآمدي :" لم يذكره جزءاً من التعريف بل قال : النظر هو الفكر بياناً لاتحاد مدلولهما . [3]" أي لم يذكر الباقلاني الفكر كجزءِ من معنى النظر بل قال بصراحة واضحة أنه والنظر لهما معنى واحد . ولم يقل أنهما مترادفان ، كما يقول الآمدي : " ولو أريد بيانُ ترادفهما لقيل النظر والفكر . [4] "

إذن يصح أن يقال الفكر هو النظر وبالعكس ، أي النظر هو الفكر كما رأينا في كلام الباقلاني .

هذا بالنسبة لكلمة (فكر) في اللغة العربية و معناه اللغوي و العلمي عند اللغويين .

وحين نترجم كلمة (فكر) إلى اللغة الإنكليزية نرى كلمة [5] (thought) مطابقة لها . في تفسير الفكر تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أنه : هو الردود الرمزية السرية إلى شيء جوهري (منشأ عن ضمن) أو عرض (منشأ عن البيئة) . وتقول : هو أحياناً مرادف لِ (الميل إلى اعتقاد) لكن بأقل من الثقة الكاملة كأن يقال (أعتقد بأنه سيمطر ، لكن لست متأكداً) . وفي بعض الأحيان يدل على الفطنة مثل (أنا عملتُه بدون تفكيرٍ) .. [1]

وفي التفكير تقول دائرة المعارف : أنه عمل ثقافي يستهدف إيجاد جواب لسؤال أو إيجاد وسائل إنجاز هدف عملي مرغوب . و في مواضع أخرى تحاول دائرة المعارف أن تفسر التفكير تفسيراً فسيولوجياً حيث نراها تقول (لكن العلماء النفسانيين لم يصلوا إلى

---

[1]الإيجي ، عضدالدين عبدالرحمن بن أحمد : كتاب المواقف ، التحقيق : د. عبدالرحمن عميرة ، دارالجليل (بيروت)، 1997 ، ط 1 ، ج 1 ، ص 118 .

[2]المصدر نفسه ، ص 116.

[3]المصدر نفسه ، ص 119.

[4]المصدر نفسه ، ص 119.

[5]قاموس القارىء(انكليزي – عربي) ، English – Arabic Reader's Dictionary العزبي . هورنبي . ثـا رنـويـل ، دار جامعة أكسفورد للطباعة والنشر ، 1980 ، مادة thought . :

[1]للمزيد حول كلمة (thought) أنظر ، Encyclopedia Britannica , 2002 . النسخة الإلكترونية ، مادّة (thought) .

الإتفاق على أىّ تعريف أو تمثيل للتفكير ، للبعض هو مسألة تعديل (تراكيب إدراكية)، كما ينظر الآخرون إلى التفكير كسلوك داخلي لحل مشكلة ما . وهناك نفسانيون ورجال غير متخصصين ربطوا التفكير بالتجارب الواعية ..

و بالنسبة لدور الظواهر العضلية في عملية التفكير تقول دائرة المعارف : الظواهر العضلية ليست العربات الفعلية للتفكير لكن تمثل بالأحرى وسائل تسهيل النشاطات الملائمة في الدماغ عندما تنتزع مهمة ثقافية خصوصيةً و مكانةً لدى المفكِر . [2]

بعد ان اتّضح لنا مفهوم الفكر من الناحية اللغوية علينا .كما وعدنا في البداية . أن نوضح مفهوم الفكر توضيحاً علمياً ومعرفياً.

ثانياً : قراءة فكرية

هناك آراء وتفسيرات كثيرة لمعنى (الفكر) العام أى كمفردة مستقلّة وليس ككلمةٍ مكوّنةٍ من حروف عربية . بل من ناحية فلسفته و تأثيره وهيكله عند الفرد والمجتمع . نلخّص قراءتنا للفكر من هذه الزوايا فيما يلي : .

1. ***المفهوم العام للفكر***

انطلاقاً من المعنى اللغوي للفكر وبقراءة قصة الفكر عند الإنسان ومساحة وجوده في التأريخ والحاضر نستطيع ان نحدّد إطاراً واضحاً للفكر وإن كان قد كثرت التفاسير حوله .

الفكر هو الجهد البشري ومحاولته لفهم أموره الذهنية والمادية ، ومن ثم الحكم عليها . والفكر لا يسمّى فكراً إذا لم يعمل على واقع محسوس ذهنياً أو بالحواس الخمس وإذا لم تكن المعلومات حول هذا الواقع متوفرةً سابقاً . فإنّ هذا يسمّى بالظن والتخيّل . فالفكر يعمل على نقل

---

[2] المرجع نفسه ، مادّة . (thought) :

الواقع مقترناً بمعلومات سابقة تعين على تفسير هذا الواقع وإدراكه. وبعد ذلك يتم نقل الفكر إلى الآخرين ويعبّرون عنه باصطلاحات اللغة.

وهناك من يميّز بين (الفكر) و (الأفكار) عن طريق الإرتباط بين المنظومة الفكرية من خلال النموذج المعرفي الكامن فيها . تقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " : [1] كلمة «فكر» . في تصوُّرنا . تشير إلى منظومة من الأفكار مترابطة من خلال نموذج معرفي كامن فيها، أما «الأفكار» فهي مجموعة من الأفكار لا يربطها سوى رباط سطحي براني. وحينما يتعامل الإنسان مع الأفكار (وليس مع الفكر) يهمل النموذج المعرفي الكامن وراء الأفكار فيقوم بنقلها أو تناولها دون إدراك لأبعادها المعرفية (الكلية والنهائية)، ومن ثم يختفي المنظور النقدي وتتعايش الأفكار المتناقضة جنباً إلى جنب بسهولة ويسر ولا يمكن التمييز بين الجوهري منها والهامشي . "

هذا تمييز دقيق ، إذ ينبغي أن يحتوى الفكر على منظومة فكرية في داخله ، بمساعدة النموذج المعرفي و المنهجية الموجودة في المنظومة المكونة من أفكار ، ومن خلال الإرتباط العميق والجوهري بين أطياف المنظومة باستطاعة الفكر أن يفي بدوره عند المتلقي . وإذا لم تكن هذه المنظومة الموحدة موجودةً فإن الإستراتيجية المشتركة تكون معدومةً أيضاً ، وبذلك تتولّد أفكارٌ كما يقول المسيري لا يربطها سوى رباط سطحي . إذن إضافة دقيقة إلى تعريف الفكر ، الّتي تؤكّد على ضرورة وجود منظومة مترابطة من الأفكار لولادة ما يسمّى بالفكر ..

هذه المنظومة التي تدفعها النواة المعرفية الكامنة فيها إلى تفكيك الرموز وتقصّى الأمور والأشياء من الممكن أن يبدعها ويعبّر عنها شخص بعد تجاوزه للمتداول من الفكر وإبداعه منه شيئاً جديداً يناسب قناعاته ومنهجه ، ويمكن أيضاً أن تعبّر عنها جماعة تتمحور أفكارها وتصوراتها حول نقطةٍ واستراتيجيةٍ مشتركة . فإذا عبّر عنها شخصٌ واحد في البداية تسمّى به وتُنسب إليه وبهذا يتكون فكر خاصٌ به . ثم يأتى بعد أشخاص ومفكّرون آخرون يقرّون ماأقرّه أو يبدعون في فكره أو ينشئون فكراً جديداً منه وهكذا .. وإذا عبّرت عنها جماعة من الناس يتشابهون في تصوراتهم لقضية أو جملة من القضايا فعندئذٍ تُسمّى بالفكر الجماعي ، وهذا التشابه في الفكر غالباً ما يدفع إلى تبلور ارتباط فكري وثيق بين أصحاب هذا النمط من الفكر المتشابه و نتيجةً لذلك يجتمعون حول بعضهم بعضاً ، ويُنشئون فكراً جماعياً خاصاً بهم ومن ثَم يُسمّى هذا بالفكر الفلاني (إسم يتفقون عليه) .

وإذا لم يتمكنوا من تحقيق هذا الإجتماع بسبب وجود عراقيل زَمْكانيّة (المكانية والزمانية) ، فعند ذاك يُحسبون أيضاً من حاملي فكرٍ جَماعيٍ موحّد في الأوساط الفكرية والعلمية ، وذلك لأنهم

---

[1] **المسيري ، د.عبدالوهاب ، م1 ، ج2 ، ب1 ، مدخل (فكر وأفكار) ، النسخة الإلكترونية ، بيت العرب للتوثيق العصري والنظم (القاهرة) بدون ذكر سنة الإنتاج .**

وإن لم يجتمعوا في مكانٍ أو زمانٍ محدّدين ولم يتقابلوا لكن يمثّلون منحى فكرياً واحداً ويقرّون بشيء واحد ويتفكرون بشكل متشابه ويُرسمون الأشياء بصبغة واحدة أو متشابهة نوعياً .

والفكر الخاص دائماً لايبقى خاصاً برجلٍ أو مفكر واحد " فربّما نشأت أفكار شخصيةٌ تطورت إلى أفكار جماعية بعد ان يعتنقَها أشخاصٌ آخرون ، وربّما نشأت أفكارٌ جَماعية من خلال جماعة تتخذ خطا فكرياً واحداً . وقد تنقسم الجماعات الفكرية مولّدةً جماعات أخرى بسبب اختلاف في فهم وتفسير بعض نصوص الجماعة الفكرية وتفسيرها . [1] "

هذا الإتفاق والإقرار والتشابه هو المبرر الوحيد لجمع وحساب آراء مفكرين من شتّى اللغات والأماكن والأزمنة المختلفة في إطارٍ فكريٍ محدّد مسمّى باسمٍ واحد أو صفةٍ واحدةٍ . مثلا يُقال : الفكر المادّى أو التفسير المادّى للتأريخ ، أو الفكر التطوري لتفسير تطور الإنسان في الأنثروبولوجيا الطبيعية . [2] فإن هناك من أتباع هاتين النظريتين لكل من (ماركس و داروين) [3]قد جاء في الآونة

الأخيرة من القرن العشرين ، أى ليس في زمان ولا مكان هذين المنظّرين ، لكن يُحسب من أصحاب هذين التيارين في الفكر والتحليل . فأقوال وآراء هؤلاء المتأخرين وتوضيحاتُهم تُكتب ضمن تصورات المذهب المادّى و التطوري .. هذا هو الفكر الخاص الذي ولّد فكراً جماعياً فيما بعد .

وإذا كان الفكر يصدر من شخص أو جماعة ما ، فيمكن أن يتأثّر ذلك الفكرُ بمنهج وعقلية ذلك الشخص أو تلك الجماعة . وبذلك يظهر إلى الوجود فكرٌ يعبّر عن تفكير وقراءة هذا

---

[1]الحربي ، د.عبدالرزاق أحمد : مراحل الفكر الإسلامي ، ط 1 ، بغداد ، 2001 ، ص 5 .

[2]الأنثروبولوجيا : علم يعني بدراسة الإنسان طبيعياً و اجتماعياً ، وفي العربية يسمّى بـ (علم الإنسان) .

[3]**ماركس** : إسمه كارل ماركس (1818–1883)، ولد بمدينة ترييف (ترير الآن Trier في غربي ألمانيا) وكان واحداً من سبعة أخوة لأبوين يهوديين ، لم يكن ماركس فيلسوفاً في بداية الأمر ، وترتكز شهرته على جهده الهائل للكشف عن القوانين التي تتحكم في سلوك الناس في المجتمع وصياغتها .. في عام 1835 التحق بجامعة (بون) و درس التأريخ و اهتم بالإنسانيات ، وعمل بالصحافة ،واشتغل بالسياسة ، وكان عالماً في الإجتماع والإقتصاد ، وثورياً نشطاً .. توفي في (لندن) في 14 مارس 1883 . يعتقد أن الإنسان شيء في الطبيعة ، و كتلة ذات ثلاثه أبعاد من اللحم والدم و العظم ... الخ تنطبق عليها قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية الأخرى ، و قد أنكر ماركس وجود روح لامادية ، و وجود جواهر روحية من أي نوع ، و بالتالي فقد أنكر الله ./ الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها عن الإنجليزية : فؤاد كامل ، جلال العشري ، عبد الرشيد الصادق ، مط . أوفسيت الميناء . بغداد ، 1983 ، مادة : ماركس ، ص ص 388،391، عبد المعطي ، د. عبدالباسط : اتجاهات نظرية في علم الإجتماع ، سلسلة عالم المعرفة (44) / المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت ، 1981، ص ص 97، 98 .

داروين : إسمه (جارلس داروين) (1809–1882) ، ولد في بريطانيا ،وقد كان متخصصاً في علم الحياة .وأهم كتاب له كان (أصل الأنواع) الذي أصدره عام 1859 ، أكّد فيه أن الطبيعة هي التي خلقت،و قال إنها تخبط خبط عشواء ، و قال إنه يرفض تفسير نشوء الحياة و تطورها بإرجاع ذلك الى الإراده الإلهية ، لأن ذلك بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت . / قطب ، محمد : مذاهب فكرية معاصرة ، دار الكتاب الإسلامي ، قم – ايران ، بدون سنة الطبع ، ص ص93،97 ، وانظر ص 93 –101 ، للتفصيل حول نظريته في التطور.

الشخص أو تلك الجماعة التى تتبنّى منحى فكرياً واحداً . وهذا أحد المبرّرات لتسميةِ الأفكار . إذ يجب أن تكون التسميةُ معبّرةً عن عقل المفكِّر أو دينه أو منهجه . مثلاً يوصف فكرٌ بأنه فكرٌ يهودىّ أو مسيحىّ .

ومن الواضح أن الفكر يتولّد نتيجة قراءة المفكِّر للمتداول من الأفكار ، إذ ليس هناك قيامٌ ذاتىٌ مجرّد لأي فكرٍ من الأفكار عبر التأريخ بل دائماً يأتي شخصٌ يقرأ ما تلقّاه من الأفكار ويتفحّصه وينتقده أو يقبله مع بعضٍ من التغييرات والتبديلات وبعد ذلك يظهر فكرٌ خاص يمثّل اعتقاداته ونظراته حول الشىء المفكَّر عنه . ويحدث ذلك حينما تتبلور إرادة التطوير لدى المفكِّر كما قال صاحب كتاب (الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل) " :[1] إنما دائما الجديد من الأفكار يأتي على قاعدة نقد المتداول من الفكر مع إرادة التجاوز والتطوير . "

. 2الفكر والواقع

من المعلوم أنّ الفكر يولَد في واقع بشرى محسوس ويتعلّق بشدّة بظروف ولادته ومراحله التي يتجاوزها عبر الزمن . هذا من البديهيات ومعلوم للجميع حيث " هناك علاقة جدلية تربط الأفكار بالواقع ، حيث لايمكن أن توجد فكرةٌ وتنموَ بدون الواقع ، بأضلاعه الثلاثة (الزمان . المكان . الإنسان) كما لايمكن لهذا الواقع أن يعيش ويتطور وينظّمَ علاقاته الداخلية والخارجية بدون الفكرة أو جملة من الأفكار تشكّل نسقاً نظريا متكاملاً [2] "

إلى هنا كل شىء مألوف ومعلوم .لكن حين نخضع لدراسة الأفكار هنا تقع الإشكالية ،حيث كثيراً ما نهمل . عند دراسة المنظومات الفكرية . الواقعَ والتجربةَ والتأريخ والأشخاص . فهذا بلا شك طريقة غير صحيحة لقراءة الأفكار وهى كأن نصفَ شجرةً (مراحل نموها وكيفية غرسها وأحوالها الفصلية ...) بدون تفسير ووصف الأرض وتأثير فصول السنة عليها وعلى نموها وثمارها ! . كذلك الحال بالنسبة للفكر الّذى ينبع عن واقع محسوس بشرى ويخضع لتجاربٌ إنسانية كثيرة ويمرّ بأزمنة مختلفة.

فكيف نصل إلى ماهية الفكر (أىّ فكرٍ) إذا أمهلْنا هذه الركائز الأساسية والبنيوية للفكر ؟ !

يبدو أنّ هذه الطريقة لاتوصلنا إلى دراسة حقيقية ودقيقة للأفكار والسبب في ذلك كما يقول محمد محفوظ: " يرجع إلى أنّ الواقع والتجربة والتأريخ ،أصبحت جزءاً لايتجزّء من المنظومة الفكرية . بل عن طريقها نستطيع اكتشاف وسبر أغوار المنظومة ، حتى نتعرّف عن إمكاناتها ، وآليات عملها ، والقاعدة الإجتماعية التي تستند عليها. [1] "

---

[1] محفوظ ، محمد ، المركز الثقافي العربي ، 1999 ، ط 1 ، ص 56 .

[2] المرجع نفسه ، ص 52 .

[1] المرجع نفسه ، ص 49 .

إهمال الركائز المذكورة للفكر ليس طريقاً مغلقاً لتحليل الأفكار فحسب وإنما تكون له نتائج سلبية أيضاً . بحيث يوقع أيديولوجيا التعميم أو الحصر ، وبذلك يحبس مفهوم الفكر في أبعاد مسدودة وغير واضحة ، ومن ثم يفقد أهدافه واستراتيجيته أمام الكائن الإنساني .

إذن قراءة الظرف الإجتماعي والتأريخي الذي نشأت فيه الأفكار ضرورةٌ موضوعيةٌ في عملية تحليل ودراسة الأفكار . والذي نراه من التصورات المثالية والإغراق في المسائل التعسّفية والجانبية ينبع باعتقادنا عن غياب هذا المنهج في أوساطنا الفكرية والدراسية والسياسية . وبسبب ذلك نرى أنّ إشكاليات منهجيةً كبيرة برزت في ثقافاتنا وأفكارنا .

وجدلية العلاقة بين الفكر والواقع لم تنحصر في الأوساط الفكرية والإجتماعية فقط بل دخلت عالم الفلسفة أيضاً ، حيث نالت مكانة كبيرة في صراع الفلاسفة عبر التأريخ الفلسفي القديم والحديث .

ونرى في أصول الفقه الإسلامي أنّه يُؤكِّد كثيراً في فهم النصوص على دراسة واقعها التأريخي والتجريبي . وفي تفسير الآيات القرآنية الكريمة أيضاً يجب دراسة أسباب نزولها و قراءة واقعها المعاش البدائي، لأنه بدون معرفة أسباب النزول لا يتحقق التفسير الكامل من الناحية اللغوية والعملية . كلّ ذلك بسبب العلاقة الكثيفة بين الواقع والنصوص " ولأنّ الواقع كلّه وبمفرداته المتعددة أصبح في حقيقة الأمر متعلّقات الأحكام الشرعية. [2] "

3. _**خلاصة المسألة .. قواعد وضوابط**_

نستنتج مما أوردناه حول الفكر ما يلي : .

أ . كلمة (فكر) تشير إلى منظومة فكرية مترابطة . أى نسيجٌ يتكون من أفكار ، وهذا الترابط جاء نتيجة نموذجٍ معرفيٍ كامنٍ في المنظومة يوجّه الأفكار إلى فلسفاتها .

ب . لابد للفكر من أن يعمل على طلب المعاني أو حقيقة الأشياء وإلاّ فهو تخيّل.

ج . إنّ الفكر دائماً هو الجديد المتمخض عن المتداول من الفكر مع إرادة التجاوز والتطوير عند المفكر .

د . في دراسة أيّ فكرٍ يجب أن نلاحظ الواقعَ والتأريخ والتجربة . إذ بدون ملاحظتها تكون الدراسة عدّةَ أقوال فارغة ، وذلك لأنّ الفكر من البديهي ان يرتبط بواقع وزمن وشخص .

هـ . الأفكار ترتبط ربطاً عميقاً بجذورها العقيدية والفلسفية بل هي انعكاس لها وترجمة إنسانية لبنودها ومبادئها . والتعرف على الأفكار لا يتم إلاّ بملاحظة العقيدة أو الفلسفة الّتي تمثّل الحافز الضخم الّذي يحرّك العقل و يخلق عملية التفكير ويدفع دائماً باتّجاه

---

[2] المرجع نفسه ، ص 53 ، و لمزيد من التفصيل حول علاقة الفكر والنصوص بالواقع (الظروف التجريبية والتأريخية والإجتماعية) أنظر المرجع نفسه ، ص53.54 .

التطوير والتغيير ويتبلور نتيجةً لذلك نمط فكريٌ يمثّل مبادئ هذه الفلسفة أو العقيدة [1] .

المطلب الثاني

ماهية الفكر اليهودي

أولاً : توضيح المصطلح

يقرّر العديد من الباحثين المتخصصين في دراسة اليهودية ومن غير المتخصصين أن اليهود لعبوا دوراً كبيراً في مجريات الأحداث عبر التأريخ القديم والحديث ، والدارس للتأريخ حين يتصفح كتب التأريخ يرى ذلك جلياً ، حيث هناك في مجالات وأحداث وتحولات تأريخية كثيرة بصمةٌ يهودية واضحة . وهذا التواجد الكثيف لعب دوره أيضاً في الدراسات والعلوم والأبحاث الفكرية والفلسفية . والآن حيث نعيش في القرن الحادي والعشرين تحتلّ القضية اليهودية وسياساتها الممثلة من قبل دولتهم الوحيدة (إسرائيل) حيّزاً كبيراً في أحداث وتحولات هذا العالم .

هذا بالتأكيد يدل على وجود خلفية منهجية فكرية مستمدّة من أصول دينية و عقائدية وراء هذا الدور البارز في كثير من الوقائع والتحولات . نحن نسمّي هذه الخلفية بـ (الفكر اليهودي) Jewish thought . ونقصد به فكر اليهود وتصوراتهم حول نصوصهم الدينية المقدّسة وتعاليمها ، وحول آراء حاخاماتهم عبر القرون ، وحول الحياة والإنسان والمبادئ الدينية الأخرى غير اليهودية ..

الفكر اليهودي هو ما قاله المفكرون والفلاسفة اليهود عبر التأريخ من خلال كتب وأقوال وآراء ومواقف ، وهو المبادئ التي تعبّر عنها الجماعات والمنظمات اليهودية . الفكر اليهودي قد عمل باتجاهات كثيرة مثل الإتجاه الديني أو الفلسفي أو السياسي أو الإجتماعي . والفكر اليهودي تميّز عن الأفكار الأخرى واتّخذ لنفسه الطوابع والسمات المميّزة مع نشوء النصوص الدينية اليهودية . فأخذ هذا الفكر يستقي مبادئه وتصوراته من النصوص اليهودية ، أو يعمل على توظيف تعاليمها في خدمة مصالحه وأهدافه .

باختصار يقصد بالفكر اليهودي جميع الأعمال الفكرية . باتجاهاتها المختلفة . الّتي قد انبثقت من خلفية دينية وتعمل باتجاه ترسيخ تعاليم الديانة اليهودية وأحلام اليهود في العالم ، أو تُصوِر الأشياء بناء على تصوير كتبهم المقدّسة مع وجود اختلافات في ترجمة التعاليم الدينية إلى أرض الواقع بين رجال الفكر اليهودي .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 59 ، وللتفصيل حول هذه النقطة (الجذور العقيدية والفلسفية للأفكار) أنظر المرجع نفسه ، ص 59.

واعتماداً على ما قلنا في تعريف كلمة الفكر ، فالفكر اليهودي هو الفكر الّذي يتضمن نموذجاً دينياً ومعرفياً ويعمل باتجاه توطيد دعائم فكرية وسياسية لتثبيت أهداف هذا النموذج . وهناك مفكرون و فلاسفة كثيرون قد عملوا على هذا النهج ، والمحرك أو الدافع الأساسي في أعمالهم الفكرية كان الأيديولوجية اليهودية والنصوص العبرية أو النموذج الديني اليهودي .

وهناك من ينفي وجود هذا النوع من الفكر بدليل أنه غير مترابط وغير متّحد ، ولعدم وجود منظومة فكرية متّحدة ومترابطة لدى المفكرين اليهود ، وهو رأي الدكتور (عبد الوهاب المسيري)

الّذي يعدّ . في الوقت الحاضر . من أبرز المتخصصين المسلمين في دراسة اليهودية والصهيونية . فقد قال في موسوعته " : [1] تُطلَق عبارة «فكر يهودي» أحياناً على الكتابات التي يكتبها مفكرون من أعضاء الجماعات اليهودية («المفكرون اليهود» في المصطلح الشائع)، وكأن هناك عناصر يهودية متكررة تربط بين كتابات هؤلاء المفكرين وتضفي عليها درجة من الوحدة. ويمكننا أن نسأل: ما الوحدة التي تربط كتابات يوسيفوس فلافيوس ويهودا اللاوي وإسحق لابيرير ويعقوب صنوع ومراد فرج وألبير ميمه، حتى يمكن تصنيف فكرهم على أنه يهودي ؟ فإسحق لابيرير وألبير ميمه فقدا الإيمان الديني، ومراد فرج يهودي قرائي ويوسيفوس يهودي متأغرق، أما يهودا اللاوي فهو من اليهود المستعربة، وتأثرت عقيدة كلٍّ منهم بمحيطه الحضاري . "

لذلك فهو غير مقتنع أصلاً بهذا المصطلح ويقترح أن نقول (مفكرين من أعضاء الجماعات اليهودية) حيث يشير : " قد يكون من الأفضل الحديث عن مفكرين من أعضاء الجماعات اليهودية بسبب المقدرة التصنيفية والتفسيرية العالية لهذا التعبير ، فهو يؤكد عدم التجانس والتنوع [2] " ...

لتوضيح هذه المسألة ولإبداء رأينا حولها نودّ إيضاح الآتي : .

. 1بعد قناعتنا بصحة عبارة (مفكرين من أعضاء الجماعات اليهودية) صحيح إن هناك مفكرين يهود لا يربط أفكارهم رابطٌ معرفي موحد ، بل قد اختلفوا في لغة الكتابة و الإنتماء الحضاري أو الفلسفي كما يقر بذلك الدكتور المسيري ، لكن هذا لا يعني أن جميع المفكرين اليهود هذا شأنهم ، وأنّه لا توجد خلفية فكرية وفلسفية مشتركة بين أفكار المفكرين والمثقفين .

وهو نفسه يشير في بعض المواطن في موسوعته إلى الدوافع والخلفيات الّتي توجه أفكار اليهود جميعاً وفي مختلف الأزمنة والأمكنة مثل الأساطير الدينية والعنف والتأريخ ...الخ بل استعمل في أكثر من موضع مصطلح (الفكر الديني اليهودي) أو الفكر السياسي اليهودي أو الفكر الفلسفي ...

وحاول في مواضع أخرى جمع سمات وطوابع جوهرية تحكم العقلية اليهودية منذ القدم حتى يومنا هذا ، أي إنه يدرس الحياة اليهودية من خلال موضوعات باتت السمة الأزلية والأبدية لليهود والحياة اليهودية ، فهذه السمات والطوابع يمكن أن يطلق عليها اسم (النموذج المعرفي والفكري) . وإن لم يصرح بذلك إلا أنه فعل ذلك .. أليس هذا دليلاً على وجود رابط ونموذج معرفي موحد في أفكار المفكرين اليهود ؟ وبهذا تكون المنظومة الفكرية . الّتي تنبثق من أفكار المفكرين اليهود . منطلقةً من نموذجٍ معرفي وفلسفي مترابط ، يعني يصح أن تُسمى بالفكر اليهودي لأنه تنطبق عليها متطلّبات تسميتها بالفكر . !

. 2إن طبيعة النصوص الدينية اليهودية أدت إلى بروز هذا التفاوت والتشتت في أفكار المفكرين اليهود .لأن طبيعة هذه النصوص تحمل في طياتها مقومات التحول والتغير الإعتقادي والفكري لدى متلقّيها . إذ هى كما هو معروف مليئة بالتناقضات وبعيدةٌ عن الدقة من الناحية التأريخية و الإعتقادية..

. 3نظراً لهذه الطبيعة للنصوص الدينية اليهودية يمكن القول بأنها هى دافع أساسي لبروز التشتت في المنظومة الفكرية ، إضافةً إلى دوافع أخرى . من هذا المنطلق ينبغي أن تُحسب تجاوزات هؤلاء المفكرين وآراءهم ضمن التحولات والتطورات الطبيعية للفكر اليهودي.

فإسحاق لابيرير و ألبير ميمه اللّذان فقدا الإيمان الديني .كما قال المسيري .كانا قد لاحظا الطبيعة المشوهة للنصوص الدينية وتأثّرا بالقراءة العقلانية للنصوص وبذلك تحولا إلى ملحِدين . هذا التحول أعتقد من إفرازات التعاليم الدينية الموجودة في النصوص وهو بذلك تحول وتطور للفكر اليهودي الّذي يعتمد على النصوص ويحاول أن ينسجم مع الوقائع والمستجدات حسب المواقف وفي سبيل تحقيق الآمال اليهودية .

. 4من الممكن أن نقول بأن هناك فكراً يهودياً (بكل اتجاهاته المختلفة) يركز من خلال منظومة فكرية على تحسين حالة اليهود و معالجة القضايا اليهودية ، و هذه الإتجاهات تتفق فيما بينها في بعض المسائل و تختلف في أخرى أساسية و دينية وجوهرية في بعض الأحيان . و هذا شئ طبيعي ، و ذلك لأن طبيعة النصوص اليهودية ، والتراث اليهودي ، أو الديانة اليهودية ، تسمح بولادة تيارات مختلفة . وكلها يمكن أن تدعي أنها تمثل الفكر اليهودي ، أو اتجاهاً من اتجاهات الفكر اليهودي . بما في ذلك الإتجاهات الإلحادية أو العلمانية أو الإصلاحية أو الأرثوذكسية ..

و المنظومة الفكرية الموحدة لكل هذه التيارات (حتى يمكن إطلاق كلمة الفكر اليهودي عليها ، وهي تمثل اتجاهاته المتنوعة) هي :

أ . دعم القضية اليهودية .

ب . الإيمان بأن هناك مشكلةً يهودية .

ج . الإهتمام بحياة الجماعات اليهودية ، بكل جوانبها .

د . وجود نزعة في كل الإتجاهات تؤكد على حس أعضاء الإتجاهات بوجود أمة دينية يهودية واحدة ، والعمل على استخدام هذه النزعة لتحقيق الأهداف .

هـ . إضافة إلى أن كثيراً من الإتجاهات (خاصة منذ أواخر القرن التاسع عشر) قد تخلّى عن أفكارها و توحدت في المشروع الصهيوني القومي السياسي .

من هنا أريد القول بأن هذه المبادئ تمثل المنظومة الفكرية الموحدة ، وإن الأفكار المختلفة (الإلحادية أو الدينية) من إفرازات طبيعة الديانة اليهودية المحرفة ، ويمكن تسميتها باتجاهات الفكر اليهودي .

هذا بالنسبة للفكر اليهودي عموماً .

---

[1]موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المرجع السابق ، م3 ، ج2 ، ب11 ، مدخل (الفكر اليهودي والمفكرون اليهود) .

[2]المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

أماً بالنسبة لكلمة (يهودي) Jew فقد اختلف العلماء والباحثون في تأريخ هذا المصطلح ، فمنهم من يربطه بتسميات سابقة مثل (العبرانيّين أو بني إسرائيل) ، ومنهم من ينفي وجود الربط بين بني إسرائيل أو العبرانيين واليهود ..

من هنا يجب أن نورد موجزاً لتأريخ ودلالة هذه المصطلحات الثلاثة ، وذلك عبر (نقطةٍ خاصة) تتكوّن من فقرتين : الأولى مخصّصة للعبرانيين ، والثانية لبني إسرائيل ، ومن خلال بحث تأريخ بني إسرائيل نوضح قصدنا من اليهود وذلك بعرض تأريخ ولادة الكلمة والديانة أيضاً الّتي تبدأ ببدأ كتابة النصوص الدينية بصورة تختلف كثيراًعن ديانة إبراهيم وموسى(عليهما السلام) التوحيدية .

ثانياً : اليهود عبر التأريخ

. 1 ***العبريّون أو العبرانيّون (the hebraic , the Hebrew)***

بعد أن أخفق سيدنا إبراهيم عليه السلام [1]. بسبب جحود وجهالة قومه . في نشر رسالته التوحيدية بين قومه في مدينة أور الكلدانيّة [2] (العراق) وبعد نجاته من محاولة إحراقه من قِبَل أبناء قومه اضطر إلى الفرار عن وطنه . فهاجر مع زوجته (سارة) وبعض أقاربه وابن أخيه (لوط) . اتّجهوا إلى الشمال حتى اتصلوا بمناطق الآراميّين ، [*] ثم انحدروا

---

[1] **من غير الضروري بحث تفاصيل حياة سيدنا إبراهيم هنا** ..

[2] الكلدانيون : إنهم قوم هاجروا من شبه جزيرة العرب و استقروا في جنوب بلاد (الرافدين) ، أسسوا كياناً سياسياً ذا طابع قبلي ، و لقد استقروا ينمون قدراتهم الى أن تمكنوا مع حلول عام 1600 ق.م من تهديد الآشوريين في بابل ، فلما آنست منهم الضعف، انقض الكلدانيون على الحكم و استولوا على بابل و اتخذوها عاصمةً ، و سيطروا على مابين النهرين في القرن السابع ق.م . / عيسى ، حسن عبيد : التآمر اليهودي على بلاد الرافدين حتى سقوط بابل عام 539 ق.م . (دراسة تحليلية) ، بيت الحكمة – بغداد ، ط 1 ، 2002 ، ص 105 ، الرفاعي ، أنور : حضارة الوطن العربي الكبير في العصور القديمة ، دار الفكر ، 1392 هـ – 1972 م ، بلا ، ص 80 .

(*) الآراميون : قدموا الى سورية حوالي 1500 ق.م و احتلوا القسم الواقع مابين دمشق و جبال طوروس ، و أسسوا فيها عدداً من ممالك المدن منها : مملكة دمشق و مملكة حماة ، صار الاراميون يسكنون بصورة مكثفة او غير مكثفة منطقة تمتد من الأردن حتى الخليج العربي ، و لغة الآراميين معروفة بـ (الآرامية) ، وهي قد انتشرت بصورة واسعة و أصبحت لغة التخاطب في أصقاع مشرق الوطن العربي ، حتى أنها تخطت حدود الوطن العربي حيث تسود اللغات السامية الى إيران .. و يمكن تقسيم الآرامية إلى : **الآرامية الغربية** ، وهي اللهجات الآرامية في سورية و فلسطين و تركيا و سيناء ، و **الآرامية الشرقية** ، وتمثل اللهجات الآرامية في العراق و إيران ، و **آرامية العرب الأوائل** ، و هي التي تكلمت و كتبت بها بضع جماعات من العرب الأوائل – أمثال التدمريين و الحضريين و الانباط . / الرفاعي ، أنور : حضارة الوطن العربي الكبير.. ، المرجع السابق ، ص 83 ، الأحمد ، د. سامي سعيد : حضارات الوطن العربي القديمة أساساً للحضارة اليونانية ، بيت الحكمة . بغداد ، 2002 ، ط1 ، ص 144 . 170 .

إلى الجنوب حتى دخلوا أرضَ كنعان [3] .(**)في هذه المنطقة أُطلِقت على إبراهيم والّذين هاجروا معه كلمةُ (العبرانيّين) كان هذا بدايةَ الكلمة ، فالعبريّ هو المنحدر من ذرّية إبراهيم [4]. لكن لماذا سُمّوا عبريّين أو عبرانيّين ؟

هناك اختلافاتٌ بين الباحثين حول أصل مصطلح "عبري" و سبب تسميّتهم بهذا المصطلح ، والتفسيرات كثيرة حول مدلوله . نوجز أهمَ الآراء عبر نقاطٍ : .

أ . يقول سليمان مظهر (المتخصص في دراسة الأديان) : "يرى بعض الباحثين أن إبراهيم سُمّي عبرياً لأنه عبّر النهر ، ويحتمل أن يكون النهر المقصود هو نهر الفرات كما يحتمل أن يكون نهر الأردن [1] ."

ب . هناك رأى آخر للدكتور إسرائيل ولفنسون وهو : " أنه من المحتمل أن يكون إبراهيم منسوباً إلى جدّ من أجداده الأقدمين يُعرف باسم (عِبْر) [2] " . أو كما جاء في بعض المصادر يُعرف باسم (عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام) .

ج . يبدو أن الدكتور ولفنسون لم يقتنع بهذه الرواية التي ذكرها ، لذلك نرى أنه يقترح إحتمالاً آخر وهو : " أن كلمة (عِبري) لا ترجع إلى حادثة بعينها أو شخصٍ بعينه ، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل ، وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التى لا تستقر في مكان ، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى . وكلمة (عِبري) في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي (عبر) بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر من عبْرِه إلى عبْرِه ، أو عبر السبيل : شقَّها . وكل هذه المعاني موجودة في هذا الفعل سواء في العربية أو العِبرية ، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخصّ ما يتّصف به سكان الصحراء وأهل البادية [3] " .

هذا الرأي له سند في معنى الكلمة بالعربية ، لذلك من المرجّح أن يكون أقرب رأيٍ إلى الحقيقة.

د . لعلّها مشتقة من لفظ (عبيرو) و (خبيرو) وهو اسم للبدو المتنقّلين في غرب آسيا للفترة مابين 2000 . 1200 ق.م . وقد عرف إبراهيم (عليه السلام) هو وعائلته بهذا الإسم بعد نزوحهم إلى أرض كنعان (فلسطين) . [4] وهذا الرأي يذهب إلى نفس الإتجاه السابق أي أن الكلمة تشير إلى المتنقل العابر لكن هذا المعني أُخذ من مشابهة إبراهيم ورفاقه مع هؤلاء المتنقلين وليس من المعنى اللغوي للكلمة ، فهو يرى أن الكنعانيين أُطلقت عليهم كلمةُ (عبرانيين) لا لأنهم عبروا النهر (الفرات أو الأردن) ولكن لتشبيههم بالبدو المتنقلين في الفترة ما بين 2000 . 1200 ق.م في غرب آسيا ..

هـ . ومن الممكن أن الكنعانيين حين رأوا طرفاً آخر من الناس النازحين طرفاً غريباً ومنعزلاً أطلقوا عليهم اسم (العبرانيين) . وذلك إذا قرنا أن لفظة (العبرانيين) " مشتقة من جذر الفعل (عابار) الذي يعني الطرف الآخر . [5] "

و . وثمة رأي يذهب إلى أن العبرانيين كانوا غرباء في مصر مدّةً طويلة ، وبالتالي ارتبط الإسم بهم (على أن العبري هو (الغريب في منزلة الخادم ، ( )وتحوّل هذا الإسم من صفة لوضع إجتماعي إلى وصف لجماعة إثنية ولذا فإن ثمّة إشارات إلى يوسف (النبي)

(**)إن أقدم شعب معروف سكن فلسطين ، و طبعها بطابعه هم (الكنعانيون) ، الذين قدموا من جزيرة العرب منذ نحو4500 عام ، و استقروا في جنوب (سورية) الذي أعطوه اسمهم فصار يعرف باسم (بلاد كنعان) أو (أرض كنعان) وأسسوا عدداً من ممالك المدن ، منها : مملكة يبوس و هي القدس الحالية ،ومملكة بيت شان و هي بيسان، ومملكة أريحا ، و مملكة شكيم (نابلس) و مملكة حبرون (الخليل) ، وشعب فلسطين الحالي هم سلائل الكنعانيين و من اختلط بهم بعدذلك من شعوب شرقي البحر المتوسط ، أو الفلسطينيون ، والقبائل العربية . / الرفاعي ، أنور : حضارة الوطن العربي الكبير في العصور القديمة ، المرجع السابق ، ص 81 ، و صالح ، د. محسن محمد : الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية ، تقديم : د. محمد عمارة ، المركز الفلسطيني للإعلام ، طبعة منقحة، تشرين الثاني / نوفمبر 2003 ، ص 4 .

[3]شلبي ، د. أحمد : مقارنة الأديان ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 11 ، ج 1 (اليهودية) ، بدون سنة الطبع ، ص ص 54 ، 57 بتصرف .

[4]المرجع نفسه ، ص 54 .

[1]نقلاً عن المرجع نفسه ، ص 54 .

([2])نقلاً عن المرجع نفسه ، ص 54 .

[3]نقلاً عن المرجع نفسه ، ص 55.

[4]الساموك ، د . سعدون محمود : محاضرات في اليهودية والنصرانية ، 1997 ، بغداد ، ص 2 ، محاضرات ألقيت على طلبة الدراسات العليا / ماجستير ، في (الجامعة الإسلامية) . بغداد ، سنة 2004 .

[5]المرجع نفسه ، ص 2 .

على أنه غلامٌ عِبرانيّ (التكوين41 : 12) أو رجل عِبراني (التكوين39: 14) كما أن ثمّة إشارة أيضاً إلى النساء العبرانيات (الخروج1:19) . ورغم أن الإشارة ذات طابع إثني واضح ، فإنها لم تفقد بعدها الإجتماعي تماماً و في سفر التكوين نجد إشارةً إلى يوسف كعبد عبراني (39: 18) وهي إشارة ذات دلالة تخلط العنصرين الإثني والطبقي . [1]

إذن عرفنا أن العبرانيين جاؤوا إلى فلسطين هرباً من العقيدة الوثنية والبطش والجبروت . بهدف ممارسة عقيدة التوحيد التي كان إبراهيم في تلك الفترة مهتماً بنشرها حيث لم يوجد آنذاك موحّد آخر ، فكان هو أول الموحدين .

والعبرانيون ينحدرون من العرق السامي [2] الذي عاش في المنطقة منذ زمن سحيق ، وينتسب له الآشوريون [3] والعرب . ويُفترض أن مجئ العبرانيين إلى الجزء الخاص بهم من بلاد كنعان قد تم في ثلاث هجرات مفترضة وغير معروفة بوجه التأكيد .

ويُستنتج من الآثار العبرانية أن أقدم هذه الهجرات قد حدثت في القرن الثامن عشر ق.م وكانت من بوادي ما بين النهرين الشمالية ، وأن الثانية تمت في القرن الرابع عشر ق.م ، أما الهجرة الثالثة فكانت خروجهم من مصر في أواخر القرن الثالث عشر ق.م بقيادة موسى ، وهارون ، ويوشع بن نون ، كما ورد في التوراة.

وهذه الهجرة الثالثة هي التي تُعرف بـ (الخروج) ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان بعد خروجهم من مصر والتيه الّذي عاشوا فيه أربعين سنة في صحراء سيناء ، وعرفوا هناك المدنية
والإستقرار أصبحوا يكرهون مصطلح (عبري) وينفرون منه لأنه يذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة ، لذلك اقترحوا كلمةً أخرى وروّجوا لها ، فأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببني إسرائيل فقط . [1]
وهذه الفترة من حياة العبرانيين تُسمّى بفترة الآباء كما اصطلح عليها بعض من المؤرّخين .

. 2بنو إسرائيل (Banu Israel)

كلمة (إسرائيل) أو (يسرائيل) Israel و Yisrael غامضة من ناحية الدلالة وظهورها التأريخي .

هناك آراء حول أصل هذه الكلمة ومعناها . من الناحية التأريخية " فإن كلمة«يسرائيل» وردت في الكتابات المصرية في عهد مرنبتاح في عام 1230 ق.م بوصفها اسماً لإحدى المدن، أو ربما لبطن من بطون القبائل في جنوبي كنعان. ولعل هذا يدل على أن الكلمة كنعانية الأصل، وأنها كانت ذات ارتباطات مقدَّسة بين سكان المنطقة آنئذ.وهناك نظرية تذهب إلى أنها كانت اسم بطن من بطون القبائل العبرانية . [2] "

---

[1]موسوعة اليهود واليهودية، المرجع السابق ، م2 ، ج2 ، ب4 ، مدخل (عبري) .

[2]العرق السامي : يُقصد به (الساميون) ، الذين ينحدرون من (سام بن نوح) الذي ورد ذكره في سفر التكوين من التوراة . الساميون استوطنوا منطقة الشرق الأوسط ،وقد اختلف العلماء حول تحديد موطن الساميين الأول ،لكنهم أجمعوا على أنها منطقة ما من جزيرة العرب . فيقول الدكتور أحمد سوسة : أجمع العلماء على أن شبه جزيرة العرب هي مهد الحضارات السامية و وطن الساميين الأوائل . و يرى د. أحمد شلبي أن بلاد العرب الوسطى و الشمالية كانت مهد الساميين ، و قد هاجر فريق منهم الى الشمال في بلاد بابل ... ثم كثرعددهم فهاجروا من جديد في أدوار مختلفة ، فتقدموا نحو الشمال ... و انحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا في بلاد العرب هم أجداد الشعب العربي ،والساميون الذين مروا من موطن الحضارة في الفرات الأدنى ثم انتشروا في جميع آسيا و فلسطين هم الاشوريون و الإسرائيليون . / شلبي ، د. أحمد : مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ص 55 ، سوسة ، د. أحمد : حضارة وادي الرافدين بين الساميين و السومريين ، سلسلة دراسات (214) ، دار الرشيد للنشر ، 1980 ، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام / الجمهورية العراقية ، ص 57، ، الرفاعي ، أنور : حضارة الوطن العربي الكبير، المرجع السابق ، ص ص 73، 74 ..

[3]الآشوريون : هم سكان مملكة قديمة باسم(آشور) ، Assyrie امتدت في بلاد دجلة الوسطى ، والآشوريون يقاسمون البابليين أصلهم السامي ولغتهم . واصطدموا بالشعوب المجاورة و لاسيما البابليين فخضعوا لهم مدة .. و قد سقطت (نينوى) عاصمتهم الثانية تحت ضربات مادي (دولة في إيران) و بابل (612 ق.م) فقضي على آشور . / المنجد في اللغة والأدب و العلوم / المجند في الأدب و العلوم ، معجم أعلام الشرق و الغرب ، فردينان توتل ، المرجع السابق ، مادة : آشور ، ص 24 ..

[1]مقتطفات نقلناها بتصرف عن شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 55 ، و الساموك ، محاضرات في اليهودية والنصرانية ، المرجع السابق ، ص 2 ـ 3 .

[2]موسوعة اليهود واليهودية ، المرجع السابق ، م2 ، ج2 ، ب4 ، مدخل (يسرائيل) .

ومن الناحية الدلالية فإن (يسرائيل) كلمة عبرية قديمة غامضة المعنى ، يمكن تقسيمها إلى «يسرا»، أي الذي يحترب أو يصارع ، و« إيل» وهو الأصل السامي لكلمة «إله». والكلمة تعني حرفياً «الذي يصارع الإله» أو «جندي الإله إيل»، وفي كل التفسيرات معنيان أساسيان هما معنى الصراع والحرب ومعنى القداسة. وقد اكتسب يعقوب هذا الاسم بعد أن صارع الإله . حسب التوراة . في حادثة غامضة لا يُفهم مكنونها أو دلالتها « فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني. فقال ما اسمك، فقال يعقوب. فقال لا يُدعَى اسمك فيما بعد يعقوب بل يسرائيل، لأنك جاهدت مع الإله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي، وباركه هناك » (تكوين 32:25 . 29) . وللكلمة في دلالتها الاصطلاحية معنيان أساسيان: فهي تعني اليهود بوصفهم شعباً مقدَّساً، وتعني فلسطين بوصفها أرضاً مقدَّسة [3] .

إسرائيل هو النبي (يعقوب بن إسحاق) عليهما السلام وأحفاده تُسمّى ببني إسرائيل ، جاء في القرآن الكريم (كلّ الطعام كان حِلاً لبني إسرائيل الاّ ماحرّم إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة) ، [4] وبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب الإثنا عشر الذين يكوّنون ما يُسمّى بـ (الأسباط) في بني إسرائيل ، فهؤلاء الأسباط ومن تناسل من ذرّياتهم هم (بنوإسرائيل) أو (الشعب الإسرائيلي) المعروف في التأريخ .

كان يعقوب يعيش في فلسطين . لكن لما جاء عام المجاعة و شظف العيش . كما هو بيّن في القرآن . [1]اضطرّ إلى النزوح إلى مصر مع أولاده الأحد عشر ، وهناك التقوا بأخيهم يوسف . واستقرّوا في مصر وتمتّعوا هناك بالعيش الرغد بسبب يوسف عليه السلام كما هو معروف ، وكان عدد أحفاد وأبناء يعقوب حين دخلوا مصر سبعين نسمةً كما ورد في التوراة . [2]

الاّ أن بني إسرائيل تكاثروا فيما بعد تكاثراً هائلاً وأصبح لديهم وجهة ومكانة في مصر . و كانوا يتمتعون بطبيعة الإنعزال ، أي عدم الإختلاط . وهذا أدّى إلى ظهور خوف كبير لدى فرعون مصر ورجاله وفي الأخير شرعوا بقتل الذكور منهم ممّا أدّى إلى انخفاض عددهم .

في هذه الأثناء جاء موسى النبي (عليه السلام) ، ويحدد ابن خلدون المدّة بينه وبين إسرائيل بأربعة آباء كما يقول : "

فالذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون، فإنه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بفتح الهاء وكسرها، ابن لاوي بكسر الواو وفتحها، ابن يعقوب وهو إسرائيل الله، كذا نسبه في التوراة. والمدة بينهما على ما نقله المسعودي، قال : دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى التيه مائتين وعشرين سنة . [3] "

بعد عودة موسى من منطقة (شعيب النبي) عليه السلام وتكلُّمِه مع الله في الطريق على جبل(الطّور) [4] نظر اليه بنو إسرائيل كقائد فذّ جديرٍ بقيادتهم . وقام

---

[3]المرجع نفسه ، المدخل نفسه ، بتصرف.

[4]سورة آل عمران : 93 .

[1]أنظر سورة يوسف : من الآية 58 إلى 101 .

[2]التكوين 26 : 27 .

[3]ابن خلدون ، عبدالرحمن : تأريخ ابن خلدون ، النسخة الإلكترونية ، إنتاج شركة (سما) للبرمجيات ، 2000 ، ج 1 ، ص 15.

[4]سورة القصص : 29 . 35 .

موسى في الأخير بمحاولته التحرّرية إذ قاد بني إسرائيل للخروج من مصر لأجل التحرر من بطش وجبروت فرعون (رمسيس الثاني).

أثناء خروج بني إسرائيل من مصر وفي الطريق تلقّى موسى الشريعة الإلهية أو الوصايا لبني إسرائيل لتكون منهجهم في الحياة ،وذلك في جبل (الطور) بعد أن ترك قومه امتثالاً لأمرالله ومكث في هذا الجبل أربعين ليلةً. [5]

لكن بني إسرائيل لمّا رأوا أن موسى تأخر في الجبل انحرفوا عن نصائح موسى ونسوا كل معجزاته وشرعوا بعبادة العجل(عجل السامري) . والعجل قد صاغه السامريّ وليس هارون كما تدّعي التوراة . [6] كل هذه الإنحرافات تمّت خلال هذه المدّة القصيرة الّتى غاب فيها موسى عن قومه ، هذا يدلّ على ضعف تأثّرهم بأعمال موسى المعجزاتية ونضاله لهم ضدّ فرعون وفي سبيل تحريرهم من عبوديته . وقد استأنفوا الرحلة بقيادة موسى صوب فلسطين ، ولكنها وقفت بوجه الوافدين ورفضت دخولهم إلى أراضيها .

وكان قوم موسى خائفين ورفضوا دخول الحرب مع الفلسطينين " **قالوا ياموسى إنّا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها** . [1] " كذلك لم يستطيعوا دخول فلسطين وقال تعالى : " فإنّها محرّمةٌ عليهم أربعين سنةً، يتيهون في الأرض . [2] " ..فقد مكث بنو إسرائيل أربعين سنةً في صحراء (سيناء) [3] في عزلة تامّة عن العالم والمدنية والإستقرار ، وكانوا في هذه الفترة يرتدون جلوداً حيوانية وما كانت عندهم أبسط مستلزمات الحياة قياساً بتلك المرحلة التأريخية من الحياة البشرية .[4]

وتُسمّى هذه المرحلة من حياة بني إسرائيل بـ (فترة التّيه) وتوفى فيها موسى وأخوه هارون . وتولّى (يوشع بن نون) قيادة بني إسرائيل ، وبقيادته أيضاً دخلوا فلسطين بعد حرب دامية . وكان هذا أول وجود سياسي وعسكري لبني إسرائيل في فلسطين . كما يقول الدكتور أحمد شلبي " : [5]كان ذلك أول العهد ببني إسرائيل في فلسطين ، وامتدّ سلطان يوشع عقب ذلك ، ويذكر Smith أنّ الّذين عاصروا موسى من بني إسرائيل قد هلكوا جميعاً في الصحراء ، ولم يدخل منهم فلسطين الاّ إثنان كان يوشع واحداً منهما . أمّا باقي الجيش الّذي اقتحم فلسطين فكان من الأبناء الّذين ولدوا في فترة التيه . "

هذا مختصر تأريخ بني إسرائيل منذ نزوح يعقوب عليه السلام إلى مصر حتى انتهاء فترة التيه . لكن بعد فترة التيه ودخولهم أرض فلسطين بقيادة يوشع يبدأ تأريخ جديد ومناخ حياتي جديد أيضاً . خصوصاً في عهد الملوك إذ تبدأ في هذه الفترة الحياة اليهودية وملامح السلطة الدينية . وهذه الفترة تختلف عن الفترتين السابقتين من الناحية العقيدية والحياتية . (كما سنعود إلى هذه النقطة في موضعها الخاص من الدراسة).

إذن بدخول بني إسرائيل أرض فلسطين تبدأ مرحلة جديدة في حياتهم ، فيها كثير من التحوّلات والتغييرات من الناحية السياسية والدينية والحضارية ، وفيها السلطة والذّل والتطور والإنكماش والتهجير والإضطهاد ، وإن كان هذا لا يدخل ضمن نطاق الدراسة ، لكن من الضروري أن نلتفت إلى التأريخ القديم لليهود ولو بصورةٍ سريعة حتّى نؤسّس للدراسة القواعدَ المنهجيةَ والبصيرةَ التأريخيةَ للموضوع الّذي نتناوله أثناء الدراسة ، إذ بدون المعرفة التأريخية حول موضوع دراستنا الّذي هو (الفكر اليهودي) لا تتسنّى

---

[5]**راجع سورة الأعراف : 141 . 145 ، في هذه الآيات الكريمة تجد قصة تلقى الشريعة كاملةً .**

[6]**قصة العجل الذهبي في التوراة تجدها في (سفر الخروج 32 : 1 . 6)، وفي القرآن أنظر حقيقة القصة في (سورة طه: 84 . 98) . .**

[1]**سورة المائدة : 23 .**

[2]**المائدة : 25 .**

[3]**سيناء : شبه جزيرة ، يحدها البحر المتوسط شمالاً و قناة السويس و خليج السويس غرباً و فلسطين و خليج العقبة شرقاً . تنتهي جنوباً عند رأس محمد في البحر الأحمر . / المنجد في الأدب و العلوم ، مادة : سِيناء .**

[4]**أنظر عيسى ، حسن عبيد : التآمر اليهودي على بلاد الرافدين ... ، المرجع السابق ، ص ص 115 ، 263 .**

[5]**مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 78 .**

لنا الإحاطةُ بجوانب هذا الفكر . وأحد مميّزات هذا الفكر هو أنّه يرتبط بشدّة بالتأريخ اليهودي وبالتالي يتأثّر بأطوار هذا التأريخ وأحداثِهِ . لذلك لابدّ من عرض ذلك التأريخ . ونحن نفعل ذلك بصورةٍ موجزةٍ جدّاً ، ومن أجل التوضيح نبحث الموضوع ضمن مسائل بالنقاط : .

المسألة الأولى : التحوّلات السياسية

من الناحية السياسية تغيّرت أحوال بني إسرائيل ، حيث تعرّفوا على النظام السياسي و الإداري لأول مرّةٍ في حياتهم . وقد مرّت حياتُهم السياسية في فترةِ احتلال أرض كنعان بثلاثة عهود مختلفة من الناحية الحياتية والإدارية والمصيرية . وهذه الحِقبة الزمنية في حياة اليهود تُعدّ مهمّةً ونقطةً تحوّل استراتيجية وجوهرية ، وهي تبدأ بعهد القبائل (الأسباط) وتنتهي بزوال السلطة الملكية (إسرائيل ويهوذا) .

أ . عهد القبائل :

احتلّ بنوإسرائيل أو الموسويّون . كما يسمّيهم بعضٌ من المؤرّخين . أرض كنعان جبراً.

" يقول (جيمس هنري برستد) ان بني إسرائيل عندما جاءوا إلى بلاد كنعان فقد كانت المدن الكنعانية ذات حضارة قديمة نشأت منذ ألف و خمس مئة سنة و منازل متقنة فيها كثير من أسباب الراحة وحكومة وصناعة وتجارة وعلم ومعرفة بالكتابة وديانة وحضارة اقتبسها هؤلاء العبرانيون الساذجون من مواطنيهم . و قد أحدث الإمتزاج مع الكنعانيين تغيرات جوهرية في حياة العبرانيين فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا يبنون بيوتاً كبيرة كبيوت الكنعانيين و خلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية و لبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية . [1] "

وقد كثر عددهم في فلسطين وصاروا أصحاب النفوذ السياسي والإداري . " ويؤخذ من التوراة أنهم قسموا ما استولوا عليه من الأراضي بين إحدى عشرة قبيلة من قبائلهم الإثنى عشرة المنسوبة إلى الأسباط ، أما القبيلة الثانية عشرة وهي قبيلةُ (لاوي) فقد وزّعت بين القبائل اليهودية الأخرى لتقوم لها بإدارة الشؤون الدينية بهيئة كهنة و أحبار ومعلّمين ، وبعد هذه الوحدة القومية والدينية الّتي يسّرت لبني إسرائيل أرض كنعان ، مرّ اليهود بفترة عصيبة تشتت فيها الوحدةُ القومية وارتدّت إسرائيلُ عن دين التوحيد [2] " هذه الفترة كانت فترة القبائل ، ولم تخل من المناوشات والحروب مع الفلسطينيين أصحاب الأرض والوطن . وهذا دليل قويّ على أن بني اسرائيل اغتصبوا هذه الأرض وكانوا غرباء فيها .

ب . عهد القضاة :

هذا العهد يلي مباشرة بعد انحلال وحدة القبائل وتقلّص هيمنتهم السياسية والإدارية . يُسمّى الحكام في هذه الفترة بالقضاة .
" وكان حكام اليهود في هذه الفترة قضاةً من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب ، وكان بعض القضاة نساءً أحياناً ، ويتكلّم سفر القضاة عن (ببورة) قاضية إسرائيل ، ولم يكن في بني إسرائيل ملوكٌ في تلك الأيّام ، ولا كانت إطاعةُ القضاة واجبةً. [1] "

من الناحية التأريخية نستطيع أن نعدّ هذه المرحلة من حياة بني إسرائيل بدايةً ممارسة الحياة ممارسةً يهوديةً قائمةً على تصوّراتٍ دينيةٍ يهودية محرّفة ومختلطةٍ بالثقافات والعادات المتوارثة الموجودة في المنطقة آنذاك . جاء في كتاب (مقارنة الأديان) لشلبي : " في هذا العهد وُضع الأساس للحياة اليهودية وللفكر اليهودي ، وقد اشترك في وضع هذا الأساس العناصر الداخليّة اليهودية ، كما اشتركت فيه العناصرُ الخارجيةُ والتأثيراتُ الّتي حملها اليهود معهم ، أو انفعلوا بها حين نزلوا بفلسطين ، وعلى هذا بدأت حياتُهم تتغيّر خلال عهد القضاة رويداً رويداً ، فبدأوا ينتقلون من حياة البدو إلى حياة الاستقرار ، ومن حياة الخيام إلى القرى الساذجة ، كما بدأوا يعرفون الزراعةَ بجانب الرعى الّذي كان كل عملهم ، ومصدر ثرائهم الوحيد ، وكان الكنعانيّون أساتذةً لهم في الإستقرار وبناء القرى والزراعة ، وتعلّم العبرانيّون كذلك من الكنعانيّين ومن الدول المجاورة الّتي اتّصلوا بها عن طريق التجارة بعض التقدم في الصناعة ،

---

(1)نقلاً عن عيسى ، حسن عبيد ، التآمر اليهودي على بلاد الرافدين .. ، المرجع السابق ، ص 272 . 273 .

(2)الساموك ، د. سعدون ، محاضرات في .. ، المرجع السابق ، ص 6 .

(1)شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 80 .

فأخذ الحدّادون اليهود عن الكنعانيين تطوير الأسلحة وصنع آلات الزراعة ، أما عمّالُ الفخار فقد ترقت صناعتُهم بما اكتسبوه من خبرة من الكنعانيّين . [2] "

هكذا استمر اليهود في ممارسة الحياة الدينية والسياسية في عهد القضاة ، لكن هذه الحياة كانت بعيدةً كلّ البعد عن تعاليم موسى النبي عليه السلام الّذي دعا بني إسرائيل إلى التوحيد ، وهذا سنعود اليه . لقد انتهى عهدُ القضاة بـ (صموئيل) آخر القضاة ، ليليه عهدٌ جديد يُسمّى بعهد الملوك .

"وقد استمرّ عهد القضاة حوالي أربعة قرون بناءً على حساب سفر القضاة ، ولكنّ المحقّق محمد عزة دروزة يقرّر أن عهدهم لا يزيد عن قرن واحد ، فإنّ موسى خرج ببني إسرائيل حوالي سنة 1030 ق.م ويرى هذا المحقّق أنّ رقم التوراة من مبالغات السِفْر ،شأنه شأن الأسفار الأخرى في موضوع الأرقام .[3] "

لكن هناك رأي آخر يرى مدّة خروج بني إسرائيل إلى إنشاء الملكية بـ (410) سنوات ، وأن بني إسرائيل قضوا خلال هذه المدّة (111) سنةً في الذّل للشعوب المحيطة بهم في فلسطين . [4] و أن أشدّ ذلك أحاق ببني إسرائيل وأرهقهم ، فهاموا على وجوههم في كهوف الجبال ، هو الّذي أنزله بهم المدينيون و العمالِقة [*] لمدّة 7 سنين متلاحقة[1] .

---

[2]المرجع نفسه ، ج1 ، ص 81 . نقلاً عن Charles Fostcr Kent : A History of the Hebrew people PP. 98- 90

[3]المرجع نفسه ، ج1 ، ص 81 .

[4]نويهض ، عجاج : بروتوكولات حكماء صهيون ، دار الجليل للنشر (عمان) ، شباط / 1984 ، ج 2 ، ص 48 . 49 ، نقلاً عن هالي صاحب (مختصر التوراة) .

(*)المَدْيَنيون : قوم من البدو ينتسبون بصلة القربى إلى إبراهيم (حسب الرواية التوراتية).كان المَدْيَنيون يقيمون في منطقة صحراء النقب الواقعة بين مصر وفلسطين والحجاز.وكان المَدْيَنيون يعملون بالزراعة والرعي والتجارة ...

والمَدْيَنيون هم الذين أدخلوا الجمَل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد إلى فلسطين ▪▪▪ هذا، وقد ذاب المَدْيَنيون في القبائل العربية الأخرى . موسوعة اليهود واليهودية ، المرجع السابق ، م 4 ، ج 1 ، ب 5 ، مدخل (المـدينيون).

العماليق : شعب سامي قديم وُجد في أرض مَدْيَن (النقب)، وكان يتجول بين جنوب كنعان ووسطها ثم استقر في الجنوب. أتى ذكره في التوراة بوصفه شعباً معادياً للقبائل العبرانية، إذ هاجمهم بعد الهجرة من مصر فقتل العديد منهم. وقد حاول شاؤول إبادتهم ثم هاجمهم داود فألحق بهم الهزائم.

وقد كثرت الآراء حول مدّة عهد القضاة ، لكن تحقيق هذه المسألة ليس من شأن دراستنا لذلك نكتفي بالعرض فقط ..

ج . عهد الملوك :

حكمَ القضاةُ بني إسرائيل مدّةً كانت الحروب والمناوشات والاضطرابات سمتَها الأبرز . و في ظل حكم القضاة " قرابة قرنين... ينقصهم الإقتدار على قيادة هذه الجماهير الجائعة المتطلّعة إلى الثروة والجاه والسلطة ، قيادة ناجحة كفوءة . ولم يكن القضاة ذوو السلطة الدينية المحدودة قادرين على تنفيذ تلك التطلعات لذا فقد طلب (اليهود)من آخر قضاتهم (صموئيل) أن ينصب عليهم ملكاً يحقق لهم طموحاتهم و تطلعاتهم [2] "و كسائر الشعوب يرتّب أمورهم ويخفّف حدّة التوتّر والإضطرابات عنهم . وقد اختار صموئيل (شاوول بن قيس) لهذا المنصب وجعَلَه ملكاً عليهم[3] .

وهذا أول ملك و كيان سياسي لليهود . وفي القرآن الكريم نرى اسم (طالوت) بدلاً من شاوول:

"ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيٍ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله .... وقال لهم نبيّهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً . [4] "

كان طالوت (شاوول بالتعبير التوراتي) أول ملك لليهود بعد القضاة . ويجيء بعده (داود) ليكون الملك الثاني . وقد اتخذ داود أورشليم (القدس الحالية) عاصمةً لمملكته وأقام الهيكل المقدّس . ومن بعده كان المُلك وراثياً ، وجاء بعده ابنُه (سليمان) مباشرةً . كان اليهود تحت سيادة هؤلاء الملوك الثلاثة متّحدين تقريباً ، أي لم تحدث انقسامات ولا انشقاقات في الوسط السياسي والإداري . لكن بعد موت سليمان انتهى عهد الوحدة وطرأ الانقسام على اليهود من الناحية الإدارية والسياسية وقد أدّى هذا الانقسام إلى إضعاف السلطة اليهودية في أرض كنعان .

بعد وفاة سليمان حوالي سنة 935 ق.م أعلن (رحُبْعام) نفسَه ملكاً على دولة اليهود ، وبايعه سِبطا (يهوذا) و(بنيامين) في أورشليم على ذلك . وبالمقابل بايع الأسباط العشرة (يَرُبْعام) ملكاً . و كان أخاً لـ (رَحُبْعام) .

وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين : المملكة الجنوبية (يهوذا) بقيادة (رحبعام) وكانت عاصمتُها (أورشليم) . والمملكة الشمالية (إسرائيل) بقيادة (يربعام) وكانت عاصمتُها (شكيم) . [1]

وقد بقى هذا الإنقسام حتى نهاية مملكة إسرائيل على يد الملك الآشوري (سرجون الثاني) [3] سنة 721 ق.م . وقد اعتقل سرجون (هوشع بن أيله) آخر ملوك إسرائيل ، ونفاه مع عدد من رجاله إلى مملكته . وفي سنة 608 ق.م هاجم فرعون مصر [3]

موسوعة اليهود و اليهودية ، م 4 ، ج 1 ، ب 5 ، مدخل (العماليق . (

[1]نويهض ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص 49 .

[2]عيسى ، حسن عبيد ، التآمر اليهودي على بلاد الرافدين .. ، المرجع السابق ، ص 116 .

[3]تحكي التوراة قصةَ اختيار الملك (شاوول) وكيفية تنصيبه ، أنظر (سفر صموئيل الأول الإصحاحات 8 ،9 ، 10) كلّها .

[4]سورة البقرة : 246 . 247 .

[1]شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 89 ، بتصرف.

[2]سرجون الثاني (721–705 ق.م) ، ملك من ملوك آشور ، خلف (سلمنصر الخامس) ملك آشور و بابل(727–722 ق.م) و مؤسس سلالة بني سرجون ، دمّر سرجون الثاني مملكة إسرائيل و غزا مصر و إرمينيا و بلاد الكلدانيين / . المنجد في الأدب و العلوم ، المرجع السابق ، مادتا : (سَرْجُون) و (سَلْمَنَصَّر) ، ص ص 250، 260 .

[3]إسمه (شيشَق) كما ورد في سِفر (أخبار الأيام الثاني 12 : 2) .

مملكة يهوذا ، فاحتلّها ، واستمرّ حتى احتلّ مملكةَ إسرائيل أيضاً وأَخذها من الآشوريّين . إلاّ أن ذلك الإحتلال لم يدم حيث زحف الملك البابلي نبوخذنصر (بختنصر) [4] على فلسطين واستعاد مملكة إسرائيل ، ثم احتلّ مملكة يهوذا سنة 586 ق.م .

وقتل بختنصر (صدقيا بن بواقيم) آخر ملوك يهوذا ، ونَهب أورشليم ودمّرها ودمّر (معبد سليمان) وسبّى أكثر السكّان إلى بابل ، وفرّ بعضُهم إلى مصر وغيرِها من الأقطار ، ويُعرف هذا بالأسر البابلي ، وهذا هو التدمير الأول للمدينة والمعبد [5] .

واليهود بقوا في بابل " إلى أن ردّهم بعض ملوك الكيانية من الفرس إلى بيت المقدس من بعد سبعين سنةً من خروجهم ، فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم على الرسم الأول للكهنة فقط والملك للفرس . [6] "

وقد أجمع المؤرّخون على أن هذا الملك الّذي سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين هو (كورش) [1] ملك الفرس في فترة الأسر البابلي ، حيث تغلّب على البابليّين ومهّد الطريقَ أمام اليهود للعودة إلى فلسطين وإقامة المعبد ثانيةً . وفي الحقيقة لم يعد كلّ اليهود إلى فلسطين ، فقد آثر عدد كبير منهم العيش في بابل حيث الراحة والثراء والعيش الرغد . كما يروى الأستاذ نويهِض قائلاً " : [2] لما عاد اليهود من بابل ، عادوا عشرات الألوف ،وأثروا في بابل إثراءً كبيراً ، وبقي منهم هناك بقية كبيرة لم تقبل أن تعود إلى أورشليم . "

وقد أجمل(هنري هالي) صاحب كتاب(مختصر التوراة) (الطبعة العشرون 1956 ، ص 212) وقائع عودة اليهود من بابل على النحو التالي : [3] .

721ق.م : سبي مملكة (إسرائيل) على يد سرجون إلى بلاد آشور .

606ق.م : سبي مملكة (يهوذا) إلى بابل .

536ق.م : فارس تسمح لليهود بالعودة .

وكانت العودة في ثلاث نوبات كما يقول (هالي) ، على النحو التالي : .

---

[4]نبوخذنصر أو بختنصر أو نبوكدنصر أو نبوختنصر (605-562 ق.م) : مؤسس الإمبراطورية الكلدانية (البابلية الجديدة) وأعظم ملوك الكلدانيين أسقط الإمبراطورية الآشورية ، وأغار بحملاته على مصر و فَتَحَ أورشليم و أحرقها ودمَّر الهيكل وأسر عدداً من اليهود (أهل يهوذا) ساقهم إلى بابل وكان نبوختنصر من كبار البناة ، فهو الذي زيَّن بابل بالحدائق المعلقة . موسوعة اليهود واليهودية ، م 4 ، ج 1 ، ب 4 ، مدخل (نبوختنصر (605-562 ق.م)) ، المنجد في الأدب و العلوم ، المرجع السابق ، مادة : بُخْتَنَصَّر أو نبوكَدْنَصَّر .

[5]شلبي ، مقارنة الأديان ،المرجع السابق ، ج1 ، ص 91 . مستشهداً بالمؤرّخ Wells في كتابه ، (History of the world , P. 93) بتصرف .

[6]إبن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 288 .

[1]كورش أو قورُش Cyrus (546-530 ق.م) : مؤسس الإمبراطورية الفارسية (الأسرة الأخمينية) . كان حاكماً لدويلة تابعة للميديين ، Medesوهم من الأقوام الهندو أوروبية (الآرية) ، هاجروا من شرق بحر قزوين الى (باختريان) على مايبدو في القرن التاسع (ق.م) أوبعده الى الطرف الشمالي من هضبة ايران ، أي بلاد (ميديا) ، و استولوا شيئاً فشيئاً على بلدان جيرانهم . وأسسو الإمبراطورية الميدية الكبيرة . و قد تخلص كورش من هيمنة الميديين، ثم ألحق بهم الهزيمة ، حيث احتلَتَ قوات كورش عاصمة الميديين هكمتانه (همدان) ، وأسس إمبراطورية مترامية الأطراف ، حيث احتل بلاد مابين النهرين و سوريا و فلسطين ومن ثم توجه بفتوحاته إلى الأطراف الشرقية من إيران ، و حين فتح بابل أصدر مرسوماً (عام 538 ق.م) بإعادة الذين وطّنوا في بابل الى فلسطين .. أما من لم يرد العودة ، فكان عليه أن يموّل هذه العملية (بفضة و بذهب و بأمتعة و ببهائم مع التبرع لبيت الرب الذي في أورشليم) / عزرا 1: 4 .

وقد تعامل كورش مع أهل بابل وكهنتها معاملةً إرضائية ، حيث قام بإعادة تماثيل الآلهة الرئيسية لبابل الى معابدها الخاصة ، و قام أيضاً بتقديم القرابين الى الإله (مردوخ) الإله الرئيس لمدينة بابل ، و قد تعامل مع اليهود معاملة حسنة، ، وأمر بإعادتهم ،وذلك لأن اليهود قد عملوا بكل ما لديهم من الأساليب على إسقاط الحكم البابلي ، أي كانوا يمثلون الطابور الخامس لكورش في مدينة بابل ./ الجاف ، د. حسن : الوجيز في تأريخ إيران ، (دراسة في التأريخ السياسي من التأريخ الأسطوري الى نهاية الطاهريين) ، بيت الحكمة . بغداد ، ط1، 2003 ، ج1 ، ص21، 40،38، 41 ، موسوعة اليهود و اليهودية ، م4 ،ج1،ب16 ، مدخل (قورش الأكبر " 546-530 ق.م ") .

[2]بروتوكولات حكماء صهيون ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 103 .

(3)نقلاً عن المرجع نفسه ، ج2 ، ص 104 . 106.

536ق.م : عودة (زربابل) ومعه (42360) يهودياً و (7337) خادماً و (200) من المغنين و (435) جملاً ، و(6720) أتاناً ، و (5400) قطعة من الذهب والفضة (مما أخذه نبو خذ نصر).

457ق.م : عودة (عزرا) ومعه 1754 من الرجال ، و 100 وزنة من الذهب ، و 750 وزنة من الفضة ، وهذا يشتمل التقدمات والهدايا من ملك فارس . ولا ذكر لنساء مرافقات في هذه العودة ولا أطفال . قُطعت المسافة في 4 أشهر .

444ق.م : عودة (نحميا) وهو الوالي ومعه حرس عسكري فقام بتجديد بناء الهيكل وحصونها وذلك على نفقة حكومة فارس . و يذكر هالي أن الأسفار الثلاثة (عزرا . نحميا . أستير) هي خاتمة الأسفار التأريخية في العهد القديم وهي تخبرنا قصة عودة اليهود من بابل ، ويقول : والمدّة التي تتناولها هذه الأسفار هى نحو من 100 سنة (536 . 432 ق.م) وفي هذه المدّة كان الأنبياء الثلاثة : حجي وزكريا و ملاخي ، فعاشوا وعملوا في خلالها.

هكذا تعاقبت الأحداث السياسية في تلك الفترة من حياة اليهود . و تطول الأحداث إلى أن زحف الروم[1] على أورشليم ودمّروا الهيكل نهائياً وأدّى ذلك إلى انقراض ملك اليهود في المنطقة وابتداء الهجرات اليهودية إلى بقاع العالم المختلفة .

حول استيلاء الروم على أورشليم و قضائهم على ملك اليهود هناك ، ومن ثم وضع اليهود بعد ذلك ، يقول ابن خلدون :

" [2]خربوا بيت المقدس وأجلوهم عنها إلى رومة وما وراءها، وهو الخراب الثاني للمسجد ، ويسميه اليهود بالجلوة الكبرى. فلم يقم لهم بعدها ملك لفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم ومن بعدهم، يقيم لهم أمر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن. ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بما جاءهم به من الدين والنسخ

---

[1] **الرومان** : قوم ظهروا في مدينة روما التي أُسِّست في القرن الثاني قبل الميلاد، وأسَّسوا إمبراطورية مترامية الأطراف بحيث تحولت من تحالف للمدن الإيطالية إلى إمبراطورية تطل على البحر الأبيض المتوسط . وشملت أقاليمها أفريقيا و المستعمرات القرطاجنية السابقة في أسبانيا و جميع الدول المدن و الممالك اليونانية السابقة ، ثم ، (بعد عام 133) إمبراطورية برجاموم الآسيوية (تركيا اليوم) . و قد ضمَّت معظم بلاد البحر الأبيض المتوسط ومنها فلسطين ومصر وأحياناً أجزاء من بلاد الرافدين، كما ضمَّت أغلبية يهود العالم في ذلك الوقت في معظم أماكن تجمُّعهم، في فلسطين ومصر وبرقة (ليبيا) وقبرص وآسيا الصغرى . ولم يكن هناك تجمُّع يهودي كبير خارج هيمنتهم سوى تجمُّع بابل . و قد قسم إمبراطوران من إليريا (يوغسلافيا الآن) هما : ديوكليتيان Diocletan (284 . 305) و قسطنطين Constantine (306 . 337) الإمبراطورية إلى إمبراطوريتين : الإمبراطورية الغربية (اللاتينية) عاصمتها روما ، و الإمبراطورية الشرقية (الإغريقية) عاصمتها بيزنطة التي سمّيت بعد عام 330 بالقسطنطينية . و تميزت الفترة الإمبراطورية من التأريخ الروماني من 27 ق.م إلى 476(نهاية الإمبراطورية) بتتابع إيقاعات الفوضى و القمع ، وقد بلغت هذه الفترة ذروتها في حكم الإمبراطور الأول (أوكتافيان) الذي يُسمى باسم (أوغسطوس) (63 ق.م . 14م) (الذي ولد في أيامه السيد المسيح) . و قد خاضت الإمبراطورية حروباً كثيرة وذلك لأن الرومان تعلّموا أن يعتمدوا على الأسلاب أكثر من اعتمادهم على إنتاجهم ، و أصبحت الحرب هي القوى المتحكمة في السياسة الرومانية ، وأصبح الجيش محرِكَها . في سنة 476 إنهارت الإمبراطورية الغربية ، لكن الإمبراطورية الشرقية بقيت حتى سنة 1453 ، عندما قهرت بيزنطة على يد الأتراك . / رايلي ، كـا ظيـن : الغرب و العالم (تأريخ الحضارة من خلال موضوعات) ، ترجمة : د. عبدالوهاب المسيري . د. هدى عبد السميع حجازي ، مراجعة : د. فؤاد زكريا ، سلسلة (عالم المعرفة) 90 / المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب . الكويت ، مط الرسالة ، القسم الأول ، ص 138 ، 139 ، 145 ، 147 ، نوسبوم ، آرثر : الوجيز في تأريخ القانون الدولي ، ترجمة وتعليق : د.رياض القيسي ، مراجعة : د. جنان جميل سكر ، بيت الحكمة . بغداد ، 2002 ، ط 1 ، ص 75 . 80 ، موسوعة اليهود واليهودية ، م 4 ، ج 1 ، ب 18 ، مدخل (الرومــان) .

[2] **تأريخ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1 ، ص 288 . 289 .**

لبعض أحكام التوراة، وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، واجتمع عليه كثير من الناس وآمنوا به، وأكثرهم الحواريون من أصحابه وكانوا اثني عشر، وبعث منهم رسلاً إلى الآفاق داعين إلى ملته، وذلك أيام أوغسطس أول ملوك القياصرة ."

هكذا آلت الأمور إلى ما لم ينتظره اليهود أبداً ،وحين هيمنت أسرة هيرودوس الكبير(72 . 4 ق.م) [1] على السلطة في أورشليم حاول هيرودوس الملك أن يرضي اليهود فبنى هيكلاً على نسق هيكل سليمان سنة 20 ق.م ، وقد ظل هذا الهيكل حتى سنة 70 م . حيث دمّر الإمبراطور تيتوس [2] الروماني مدينة أور شليم وأحرق الهيكل على أثر ثورة قام بها اليهود ، وهذا هو التدمير الثاني للمدينة والمعبد [3] .

هذا الغزو الروماني أنهى مهمّةَ اليهود السياسية والإدارية في المنطقة ، وأزال هيبتَهم ، وبالتالي أدّى إلى نهاية وجودهم الكثيف في فلسطين .

"وإذا كان تيتوس قد اكتفى بتدمير المدينة والهيكل وأبقى الحطام مكانه فإنّ أدريانوس [4] أزال معالم المدينة ومعالم الهيكل تماماً سنة 135 م ، إذ حرث الأرض وسوّاها

---

[1] **هيرود : (Herod)** ملك اليهود وابن أنتيباتر الأدومي .. وهو مؤسس الأسرة الهيرودية ، أو (أسرة هيرودوس) ، كان حاكماً تابعاً (تتراك) للجليل في شبابه. أظهر عزماً في القضاء على العناصر اليهودية المشاغبة ... نصَّبه مجلس الشيوخ (الروماني) ملكاً رومانياً (دوكس) على مقاطعة يهودا الرومانية . كان يتعيَّن على هيرود في سياسته الداخلية أن يوازن بين ثلاث قوى أساسية هي : سكان فلسطين من اليهود، ثم سكانها من غير اليهود، وأولاً وقبل كل شيء: الرومان سادة المنطقة وأولياء نعمته. وقد أظهر هيرود قدرة غير عادية على الحركة في إدارة حكمه . و كان سفاحاً ، قتل الكثيرين من أهله (زوجته و أبناءها و أمه ، و شقيق زوجته) ، و أمر بذبح أطفال بيت لحم . موسوعة اليهود واليهودية ، م 4 ، ج 1 ، ب 18 ، مدخل (هيرود (37ق.م – 4م)) ، المنجد في الأدب والعلوم ، المرجع السابق ، مادة : هيرودوس الكبير (72 . 4 ق.م).

[2] **تيتوس** ، (79-81) **(Titus)** أحد أباطرة الرومان، وهو ابن فسبسيان . قاد القوات الرومانية في مقاطعة يهودا الرومانية في عام 70م. استولى على القدس بعد حصار دام خمسة أشهر... ولم يتدخل تيتوس في شئون اليهود في أماكن أخرى من الإمبراطورية الرومانية... اسمه ارتبط دائماً بهدم الهيكل . وتجعله الأدبيات الصهيونية مسئولاً عن شتات اليهود، مع أن عدد اليهود الموجودين خارج فلسطين قبل هدم الهيكل كان يصل إلى نحو ثلاثة أضعاف عدد الموجودين في فلسطين . اشتهر بحلمه و إحسانه . كان يقول (لقد فقد نهاري) إذا ما قضى نهاره و لم يصنع لأحد خيراً . موسوعة اليهود واليهودية ، م 4 ، ج1 ، ب 18 ، مدخل (تيتوس) 79-81 () ، المنجد في الأدب والعلوم ، المرجع السابق ، مادة : تيطُس.

[3] **شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 95 ، بتصرف .**

[4] هادريان ، (117-138) (Hadrian) و جاء اسمه بلفظ (أدريانوس (Adrianus أيضاً . إمبراطور روماني ، ابن تراجانوس (Trajanus)و خلفه في الملك ... بدأ حكمه بإكمال القضاء على التمرد اليهودي في أفريقيا... أصدر قراراً بمنع الختان باعتباره شكلاً من أشكال التشويه الجنسي مثل الخصي ... و قرَّر تحويل القدس إلى مستعمرة رومانية، فنشب التمرد اليهودي الثاني بقيادة بركوخبا الذي أخمدته القوات الرومانية (132 . 135م) . وقد شجع الصناعة و الآداب و الفنون .أرخ باسمه الكثير من الآثار الرومانية الموجودة في الشرق الأدنى . موسوعة اليهود واليهودية ، م 4 ، ج 1 ، ب 18 ، مدخل (هادريان (117-138)) ، المنجد في الأدب والعلوم ، المرجع السابق ، مادة : أدريانوس.

وزرعها كما تخلّص تماماً من اليهود بها بين قتل وتشريد ، فلم يبق بها يهودي واحد ، ورحل من استطاع الهربَ منهم إلى مصر وشمالي إفريقية وإسبانيا و أوروبا .. [5] "

هذا مختصر تأريخ اليهود السياسي حتّى التدمير الثاني للمعبد ومدينة أورشليم ، وسنورد مختصر تأريخهم بعد التدمير الثاني حتى العصر الحديث في موضعه الخاص ..

بجانب التحولات السياسية حدثت تحوّلات وتغييرات دينية وعِرقية أيضاً ، من الضروري أن نلتفت إلى هذا الجانب من أجل توضيح المسألة أكثر .

المسألة الثانية : التحوّلات الدينية والعِرقية

بعد دخول بني إسرائيل أرض كنعان لم تطرأ عليهم فقط تحوّلات سياسية ، وإنما أعقبتها تحوّلات دينية واعتقادية أيضاً . إن النبي موسى عليه السلام قد دعا إلى التوحيد وعبادة الله الأحد ، ونبذ الإستكبار والظلم والتسلّط على الآخرين ، وقد عمل كثيراً على ترسيخ دعائم فكرة التوحيد بين بني إسرائيل .

إلاّ أن جهوده لم تر نورها حيث كان بنو إسرائيل ينتظرون الفُرص دائماً للعودة إلى الوثنية وعادتهم الشنيعة من عبادة العِجل والبعل . هذا هو دأب اليهود في كلّ زمان ومكان فهم في التأريخ القديم والحديث يسيرون على النهج الانتهازي ويحصدون مستقبلهم بالغطرسة واغتصاب حقوق الآخرين .

كانوا أيام موسى قد كفروا بالعقيدة الّتي نادى بها وعبدوا العِجل الذهبي حين كان عليه السلام غائباً عن قومه بأمر الله لتلقّى الوصايا الإلهية والشريعة في الوادي المقدّس (طوى) لأجل إنقاذ بني إسرائيل من الإنحرافات والإعوجاج الديني . وعبدوا الأصنام كذلك ، يقول ول ديورانت " :[1] لم يتخلّوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي ، لأن عبادة العجول كانت لا تزال حيّةً في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر ، وظلّوا زمناً طويلاً يتّخذون هذا الحيوان القويّ آكل العشب رمزاً لإلههم " .

---

[5]شلبي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 95 ، نقلاً عن محمد علي علوبة : فلسطين والضمير العالمي ص 54 . 56 ، و عن لواء محمد صفوت : إسرائيل العدو المشترك ص 25 .

[1]نقلاً عن شلبي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 187 .

وبعد وفاة موسى و يشوع ازدادوا ارتداداً وانحرافاً ، وتروي لنا التوراة أنهم شرعوا في عبادة البعل وعشتروت وآلهة آرام وآلهة حسيدون وآلهة مؤاب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين ،وتركوا الرب ولم يعبدوه . [2]

لذلك نرى أنّ الرب . كما يتّضح في النصوص التوراتية . تنحّى عنهم وانتقدهم على طبيعتهم الوثنية إذ جاء في التوراة : " أنتم تركتموني و عبدتم آلهة غريبة فلذلك لا أعود أخلصكم أيضاً . إذهبوا واستغيثوا بالآلهة الّتي اخترتموها لتخلصكم هى من ضيقكم . [3] "

ويروي سفر القضاة أن اليهود " عبدوا البعل وعشتاروت فاشتدّ غضب الرب عليهم و باعهم إلى كوشان رِشَعتايم ملك أدوم .. [4] " هناك أسفار كثيرة في التوراة تروي غضب الله على اليهود بسبب انحرافهم عن عقيدة التوحيد وإهمالهم الوصايا الإلهية المرسلة إليهم عن طريق موسى النبي عليه السلام ، فمثلاً نرى في (سِفر صِفنيا) أن هذا النبي يحذّر بني إسرائيل . على لسان الرب . من غضب الرب عليهم ، ويهدّدهم بأن العقاب وشيك بسبب عودتهم إلى الطبيعة الوثنية [1] . أو يقول الرب على لسان إرميا النبي : " وأذريهم بمذراة في أبواب الأرض أنكل وأبيد شعبي . [2] "

هكذا تروي التوراة حقائق اليهود بعد موت موسى وفي فلسطين حين كانوا يتمتّعون بالسلطة السياسية وخيرات أرض كنعان الخصبة .

موضوع الإنحراف اليهودي عن الدين بات من الحقائق التأريخية حيث أشار إليه القرآنُ والعهدُ القديم والجديدُ أيضاً ، وقد أجمع المؤرّخون على حقيقة حدوثه بين بني إسرائيل في حياة موسى عليه السلام وبعد موته أيضاً .

تأثّرُ بني إسرائيل لم يكن فقط بطبيعة الكنعانيين الوثنية وإنما شَملَ أيضاً مجالاتٍ كثيرةً . وقد أشارت موسوعة اليهود واليهودية إلى هذا الموضوع بقولها " : [3] قد تأثّر العبرانيون بحضارة الكنعانيين في كثير من المجالات ، فبعض صفات يهوه هي من صفات بعل إله الكنعانيين. وبعض التحريمات (مثل طبخ الجدي في لبن أمه) هي عادات كنعانية قديمة. وكثير من الأعياد اليهودية، مثل عيد الفصح وعيد الأسابيع وعيد المظال، ذات

---

[2] أنظر سِفر القضاة **10 : 6**

[3] القضاة **10 : 13 . 14**

[4] القضاة **3 : 7 . 8**

[1] أنظر سفر صفنيا **1 : 2 . 4**

[2] إرميا **1 : 7**

[3] م5 ، ج1 ، ب1 ، مدخل (عناصر في اليهودية من الديانات والحضارات الأخرى) .

أصل كنعاني... ويُقال إن المزمور 29 مأخوذ من نشيد كنعاني وُضع أصلاً لبعل العاصفة... ويبدو أن القصص الدينية للأقوام السامية الأخرى، مثل الأدوميين، قد وجدت طريقها إلى الفكر الديني اليسرائيلي كما يتضح من سفر أيوب. ويذكر العهد القديم بعض الشعائر والعقائد التي تم تبنيها، ثم استُبعدت في مرحلة لاحقة، مثل التضحية على المذابح، والثعبان النحاسي، ومركبات الشمس في الهيكل، والعجول الذهبية. ولكن هناك شعائر أخرى لم تُنبَذ مثل التضحية بكبش للمعبود عزازئيل . "

ووجود اليهود في بابل كان له تأثير كبير على حدوث احتكاك النصوص الدينية اليهودية بأساطير سومرية وبابلية ، أو تشريعات بابلية قديمة ، وقد أدّى هذا الإحتكاك إلى خلق نصوص دينية متشابهة مع هذه الأساطير ، وسنعود إلى هذا الموضوع عند البحث عن مصادر الفكر اليهودي .

أمّا من الناحية العِرقية [4] فقد طرأت على الدم اليهودي باعتباره العرقي والقومي تغييرات جوهرية . حيث لم يستطع الدم اليهودي أن يُحافظ على نقائه ، والفترة الّتي بدأت فيها هذه التحوّلات تكلّمت عنها الشواهد التأريخية حيث " تُجمع المراجع التأريخية والأبحاث الأنثروبولوجية (علم أجناس البشر (**Anthropology** على أنّ خروج بني إسرائيل من مصر كان حدّاً فاصلاً بين عهد النقاء وعهد اختلاط الدم . [5] "

يقول غوستاف لوبون " : [1] لَحِقَ ببني إسرائيل عددٌ من المصريين الساخطين من الأسارى ، ومن العبيد ، ولمّا جاوز بنو إسرائيل بحر القلزم بدَوْا عشيرةً أى جماعةً تبدو كأنها نسل رجل واحد وإن كانت في الحقيقة فاتحة صفوفها لجميع الفرّار والمستعدين لانتحال اسمها وتقاليدها ومعبوداتها . "

موضوع اختلاط الدم اليهودي بالأقوام والشعوب الأخرى يجرّنا إلى الكلام عن مفهوم (الشعب اليهودي) الّذي نادى به اليهود عبر التأريخ ، أو (الجنس العبري) كما حاول بعض من المفكّرين اليهود في العصر الحديث أن يُرسخوا هذا النوع من المصطلحات في ذاكرة البشرية بهدف تثبيت دعائم ومقوّمات أو مبرّرات إنشاء دولة يهودية خاصّة بهم . وفي الحقيقة إنّ اليهود منذ دخول كنعان عبارةٌ عن خليطٍ من مجموعات من الأجناس والسلالات ذات طبائع دينية واجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة ، وتتغير الطبائع حسب الظروف ، والتحوّلات أو التغييرات تشمل أيضاً الطبائع أو المفاهيم الدينية .

هذا التوسّع الديني الكمّي . الناتج عن الخاصية المطاطيّة للدّيانة اليهودية . الّذي يحدث في النصوص والطبائع والثقافات والمفاهيم الدينية . والتوسّع يأتي في كثير من الأحوال ليخلق نصوصاً ومبادئ ومفاهيم متناقضة . كان بمثابة الفارق الأساسي الّذي يميز اليهودية عن باقي الأديان الأخرى .

---

[4] العِرْق : هو جملة السمات البيولوجية (مثل حجم الجمجمة ولون الجلد أو العيون أو الشعر... إلخ) التي يُفترَض وجودها في جماعة بشرية وتَميُّزها بشكل حتمي (بيولوجي) عن غيرها من الجماعات. وكلمة «عِرْق» ترادف أحياناً كلمة «سلالة» أو «جنس» أو «دم». وهناك تقسيمات عدّة للسلالات أو الأعراق أو الأجناس البشرية المختلفة أو الدماء التي تجري في عروقها / موسوعة اليهود و اليهودية ، المرجع السابق ، م 2 ، ج1 ، ب 1 ، مدخل (العِرْق اليهودي).

[5] شلبي : مقارنة الأديان ، ج1، ص 74 .

[1] نقلاً عن المرجع نفسه ، ج1 ، ص 74 . 75 .

و المفكر المصري (د. عبد الوهاب المسيري) يطلق عليه (في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية) عبارة (الصفة الجيولوجية التراكمية) .

وما يُسمّى بالجنس العبري له نفس الحال . حيث لا يوجد غير مجموعات وأجناس مختلفة دانت بالنصوص والثقافات المتراكمة المتوارثة من مجموعات كبيرة من الحاخامات والكتبة عبر التأريخ .

وإذا تمسّكنا بالمنهج العلمي فيجب أن نفرّق بين اليهود القدماء الّذين عاشوا في منطقة الشرق الأوسط واليهود الّذين يعيشون اليوم في مختلف أرجاء العالم . وبذلك لا نستطيع أن نعتقد بوجود شعب باسم (الشعب اليهودي) على معايير تسمية الشعوب المتبعة في الأوساط العلمية و الإتنوغرافية (علم وصف المجتمعات البشرية) . (وسنعود إلى هذا الموضوع لاحقاً) .

أمّا بالنسبة لكلمة (يهود) الّتي وعدنا سابقاً أن نبينها فإن هناك آراء كثيرة حول إطلاق هذه الكلمة على بني إسرائيل . قبل بيان ذلك يجب أن نورد تعريفاً عاماً للكلمة . تقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (" : [2] يهودي)كلمة عبرية مشتقة من «يهودا» وهو اسم أحد أبناء يعقوب والذي سُمِّيت به إحدى قبائل العبرانيين الاثنتي عشرة .والاسم مُشتَق من الأصل السامي القديم «ودي» التي تفيد الاعتراف والإقرار والجزاء مثل كلمة «دية» عند العرب. وقد اكتسبت هذه المادة معنى الإقرار والاعتراف بالجميل. وقد استوحت ليئة زوجة يعقوب اسم ابنها الرابع من هذا المعنى: " هذه المرة أحمد الرب لذلك دعت اسمه يهودا " (تكوين 29/35).فكلمة «يهوه» تعني الرب و«دي»تعني الشكر ومنهما «يهودي « . "

وقد مرت الكلمة بدلالات مختلفة خلال مرورها بأطوار تأريخية مختلفة . ومن هذه الدلالات مثل الدلالات الجغرافية أو الدينية أو القومية أو الذاتية . وهنا نريد أن نركّز على ولادة الكلمة كاسم لديانة خاصة وعلى موضوع إطلاقها على بني إسرائيل ، وليس معناها أو تطوّرها الدلالي . إن الحياة اليهودية بسماتها الخاصة . وليست الديانة اليهودية . الّتي لا تتفق مع تعاليم موسى النبي عليه السلام قد بدأت بالتبلور بعد موت يشوع في فلسطين . لكن مسألة إطلاق مصطلح (اليهود) على بني إسرائيل مسألة أخرى .

ونحن نثير هذا الموضوع هنا لأنّ ولادة هذه الكلمة كانت في المدّة الّتي بحثناها للتو ، أي من دخول بني إسرائيل أرض كنعان إلى التدمير الثاني للمعبد ومدينة أورشليم .

---

[2] م2 ، ج2 ، ب4 ، مدخل (يهودي) .

في هذا السياق جاء في موسوعة اليهود واليهودية " : [1] يشير اليهود إلى عقيدتهم بكلمة «توراة». أما مصطلح «اليهودية» فيبدو أنه قد ظهر أثناء العصر الهيليني [*] للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم. وقد سك هذا المصطلح يوسيفوس فلافيوس ليشير إلى العقيدة التي يتبعها أولئك الذين يعيشون في مقاطعة يهودا (مقابل «الهيلينية» أي عقيدة أهل هيلاس .Hellas وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية ثم أصبحا يشيران إلى عقيدتهم). وقد أصبحت كلمتا «يهودية» و«توراة» كلمتين مترادفتين، ولكن ثمة اختلافات دقيقة بينهما. فمصطلح «اليهودية» يؤكد الجانب البشري ، بينما يؤكد مصطلح «التوراة» الجانب الإلهي. ولذا، يمكن الحديث عن «اليهودية العلمانية» بينما يصعب الحديث عن «التوراة العلمانية». ومن الجدير بالذكر أن المصطلح الشائع في الولايات المتحدة والعالم هو «اليهودية»، أما مصطلح «توراة» فقد اختفى تقريباً إلا بين المتخصصين والأرثوذكس . "

لكن صاحب كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) يرى أن اسم (اليهود) صار يُطلق عليهم بعد سليمان وانقسام المملكة إلى شطرين : يهوذا ومقرها أورشليم ، و إسرائيل ومقرها السامرة في الشمال على الغالب . [2]

وهناك آراء ترى أن مصطلح (اليهود) و (اليهودية) ظهر أيام سلطة الفرس على بابل و فلسطين . فحين تغلّب كورش ملك الفرس على البابليين و بعد تحقيق سلطتها على فلسطين صارت له السلطة على اليهود في المنطقة ، وفي هذه المدّة كما يقول الأستاذ سليمان مظهر (المتخصص في دراسة الأديان):

---

[1] المرجع نفسه ، م5 ، ج1 ، ب1 ، مدخل (اليهودية : المصطلح) .

[*] (الهيلينية) مصطلح يستخدمه المؤرخون للإشارة إلى التقاليد الحضارية السائدة في تلك المقاطعات التي كانت تتحدث اليونانية في الإمبراطوريات الهيلينية (السلوقية والبطلمية) وفي الإمبراطورية الرومانية. وبعد غزو الإسكندر(الغازي المعروف) ، بدأ تغَلغُل الحضارة الهيلينية بين أعضاء الجماعات اليهودية في مصر وبرقة وسوريا وآسيا الصغرى وفلسطين، واستمر طيلة العصر الروماني. وقد أسس اليونانيون سلسلة من المدن اليونانية داخل فلسطين وتمت أغرقة بعض المدن القائمة بالفعل .

في البداية، كانت الجوانب الاجتماعية للتأغرق تشكل عنصر جاذبية سطحية، ثم بدأت العملية تكتسب أبعاداً دينية وحضارية عميقة. وقد نادى دعاة الهيلينية (من اليهود) بتبنِّي نمط الحياة اليوناني: المؤسسات التعليمية، واللغة، والأزياء، والأسماء، والفلسفة، والعادات اليونانية، بهدف الاندماج النهائي في الحضارة اليونانية. وبالفعل، حقق دعاة الهيلينية نجاحاً ساحقاً في جميع الجوانب . هذا العصر يُسمَى بالعصر الهيليني . المرجع نفسه ، م4 ، ج1 ، ب17 ، مدخل (الهيلينية) .

(2)نويهض ، عجاج : المرجع السابق ، ج2 ، ص 101 .

" أطلق الفرس على بني إسرائيل اسم اليهود ، وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية " ، ويقول الدكتور جواد علي : " منذ ذلك التأريخ (أي فترة سلطة الفرس على بابل) أصبحت كلمة (اليهود) تعني مَن اعتنق اليهودية ، و لو لم يكن من بني إسرائيل. [1] "

و يعلّق على هذا الرأي الدكتور أحمد شلبي بعد إقرارهِ بهذين الرأيين بقوله : " وهذا هو الفرق بين اليهودي والإسرائيلي . [2] " أي أن كل إسرائيلي يكون يهودياً و لكن ليس كلُ يهودي إسرائيلياً بمفهومه الإثني . وعلى هذا المفهوم فإن اليهود هم معتنقوا ديانة خاصة قد استوعبت عناصر كثيرة من الديانات والحضارات والعقائد عبر التأريخ ، وليس بينهم وبين اليهود القدماء الّذين عاشوا في منطقة الشرق الأوسط صلة عِرقية أو سُلالية . وبهذا تكون دعاية وجود جنس أو شعب خاص باسم الشعب اليهودي عارية من الصحة ، وهي شعار أيديولوجي أكثر من كونها حقيقة تأريخية . (وهذا سوف نبيّنه في المباحث القادمة من الدراسة) .

تقول موسوعة اليهود واليهودية " :[3] يُفضل بعض الصهاينة العلمانيين أن يستخدموا كلمة «عبري» أو «عبراني» على استخدام كلمة «يسرائيلي» أو «يهودي» باعتبار أن الكلمة تشير إلى العبرانيين قبل اعتناقهم اليهودية، أي أن مصطلح «عبري» يؤكد الجانب العرْقي على حساب الجانب الديني فيما يُسمَّى «القومية اليهودية» " . إذن إن الموضوع تسميّاتٌ وتبديلاتٌ وليس قراءة دقيقة للحقيقة التأريخية .

وهناك اتجاهات أخرى تنسب (اليهودية) إلى (الإله يهوه) وهو اسم الإله القومي الّذي اتّخذه اليهود لأنفسهم ، أو إلى (يهوذا) أحد أبناء يعقوب النبي عليه السلام [4] أو إلى (يهوذا) المملكة الجنوبية الّتي كانت عاصمتُها (أورشليم) .

لكنّ الّذي عليه أكثر العلماء المتخصّصين هو أن كلمة (يهودي) Jew ظهرت بعد التهجير البابلي ، فإنّ عدداً منهم يرون أنها ظهرت أيام الأسر البابلي ، وبعض آخر يرون أنها ظهرت في القرن الأول قبل الميلاد . وفي هذا الصدد تقول موسوعة اليهود واليهودية " :[5] لعلّ الدقة الكاملة كانت تتطلب أن نستخدم اصطلاح «عبراني يهودي» للإشارة للعبرانيين في الفترة ما بعد العودة إلى بابل (538 ق.م) حتى سقوط الهيكل (70م)، فإبان هذه الفترة بدأت ملامح النسق الديني اليهودي ."

---

[1] نقلاً عن شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 93 .

[2] المرجع نفسه ، ج1 ، ص 93 .

[3] م2 ، ج2 ، ب4 ، مدخل (عبري) .

[4] الساموك ، محاضرات في اليهودية و النصرانية ، المرجع السابق ، ص 2.

[5] مدخل (عبري) ، المرجع السابق .

إجمالاً لما أوردناه من الآراء نقول : عموماً يُؤكَد على ظهور المصطلح في الأسر البابلي أو بعده . وقد كان الباحثون والعلماء يجمعون على أن العهد القديم قد وُضع خلال وبعد السبي البابلي . من هنا نستطيع أن نركّز على هذه المرحلة أكثر من المراحل الأخرى لتسوية موضوع ظهور كلمة (يهودي) .

فإن تدوين العهد القديم باعتقادنا كان تكملة البداية الدينية الّتي ظهرت ملامحُها إلى الوجود أيام عهد القضاة والملوك . لذلك أرى صحةَ الإتجاهات الّتي تقرّ بولادة مصطلح (يهودي) خلال الأسر البابلي خاصةً وأنّ في هذه المرحلة شُرِعتْ بتدوين النصوص الدينية المقدّسة عند اليهود . و بهذا يكون الشخص يهودياً إذا دان بالنصوص الدينية اليهودية وبالشرائع والعقائد الّتي تدعو إليها هذه النصوص.

ومن أجل التفرقة بين مصطلحات (عبراني . إسرائيلي . يهودي) وتصحيح إطلاقها تقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : " في العصر الحديث، تُستخدَم عبارة «مدينة إسرائيل» العبرية للإشارة إلى الدولة الصهيونية وكلمة «إسرائيليين» للإشارة إلى أعضاء التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين. ولكننا، إذا أردنا التفرقة، فمن المستحسن أن نطلق كلمة «إسرائيليين» على سكان التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين وحدهم، وأن نسمِّي اليهود القدامى، من حيث هم تَجمُّع بشري له خصائص إثنية مُتميِّزة، «عبرانيين» (ومفردها عبراني) وأن نسميهم «جماعة يسرائيل» (وأحياناً «اليسرائيليين») لنصفهم من حيث هم جماعة دينية، على أن تظل كلمة «يهودي» مصطلحاً يشير إلى كل من يعتنق اليهودية . [1] "

<u>المسألة الثالثة : ما بعد التدمير الثاني .. هجرات اليهود</u>

---

[1] المرجع نفسه ، م2 ، ج2 ، ب4 ، مدخل (يسرائيل) .

بعد السبي البابلي عادت إلى اليهود حالة اللاإستقرار و الهجرات ، بعد أن كانوا في استقرار نسبي في أرض كنعان بفضل ما لمسوا هناك من مستلزمات الحياة المادّية و الرفاهية الّتي كانت بالنسبة لهم الحلم الوحيد ! حيث كانوا قبل التغلغل إلى أرض كنعان يعيشون في صحراء سيناء تائهين جائعين . قصة اليهود . الجماعات والأفراد منهم . بعد التهجير البابلي مليئة بسلسلة من الهجرات عبر البلدان والقارات ، والدوافع لهذه الهجرات تكمن في التطلّعات المادية والمعيشية كصفة جوهرية للجماعات اليهودية عبر التأريخ . أو في التعاملات الخارجية مع اليهود مثل التهجير والطرد أو الإضطهاد أحياناً .

بعد مرحلة الأسر البابلي بدأ اليهود في الإنتشار في بقاع الأرض بوصفهم جماعات يهودية لا يربطها رابط سوى الإنتماء إلى العقيدة الدينية الإثنية . وبدأت هذه الرحلة حين فضلت أعداد كبيرة من اليهود الإستمرار في بابل مكوّنةً بذلك نواة أول جماعة يهودية تستقر خارج فلسطين بعد مرحلة التهجير البابلي .

و بعد هيمنة الإمبراطورية اليونانية على أجزاء كبيرة من البحر الأبيض والشرق الأدنى القديم 332 ق.م استقرت أعداد كبيرة منهم (كجماعات وظيفية إستيطانية وقتالية ومالية) في مصر ، و في الإسكندرية على وجه الخصوص . كما استقرّوا في برقة وقبرص و آسيا الصغرى . و قد بدأ الإنتشار في أوروبا الغربية في تلك المرحلة أيضاً .

وبعد التغلّب الروماني على فلسطين كإحدى نقاط تجمّع الجماعات اليهودية وهدم الهيكل عام (70 م) من قبل تيتوس ملك الروم استمرّ تدفق اليهود خارج فلسطين وإلى مختلف البلدان ، خصوصاً إلى أوروبا و حوض البحر الأبيض المتوسط . و يُقال إن هجرة اليهود إلى الجزيرة العربية تعود إلى هذه الفترة أو بعدها ، و قد تم طردُ اليهود منها مع ظهور الإسلام ولكن يبدو أن أعداداً كبيرةً لم تغادرْها .. وقد شهدت بدايةُ العصور الوسطى في الغرب (القرن

الرابع الميلادي) شيئاً من الإستقرار النسبي بالنسبة إلى الجماعات اليهودية في الغرب المسيحي ثم في الشرق الإسلامي بسبب إستقرار الأحوال السياسية والإقتصادية فيها ، وكان نمطُ الهجرة في هذه الفترة هو الهجرة من البلاد المتقدمة إلى البلاد المتخلّفة ، و قد كانت أوروبا من أكثر المناطق تخلّفاً في العالم آنذاك .

وهكذا انتقلت الكثافة السكانية اليهودية (بين عامي 500 ق.م 1000 م) من الشرق الأوسط إلى أوروبا. و مع تدهور الخلافة العباسية في القرن العاشر ، هاجرت أعداد من اليهود المقيمين في العراق إلى الهند والصين ، ولذا قد يكون من الأفضل أن نقول إن هجرة أعضاء الجماعات اليهودية تتّجه حيث توجد فرص أكبر لممارسة نشاطهم الاقتصادي ، وأحياناً ما تتيح البلاد المتخلّفة هذه الفرصة لهم أكثر من البلاد المتقدّمة ..

ومع إرهاصات التحول التجاري الرأسمالي في المجتمع الغربي في القرن الحادي عشر، ومع ظهور طبقات من التجار والمموِّلين المسيحيين، تم طَرْد اليهود من إنجلترا في عام 1290 (ويُقال إن عددهم كان لا يتجاوز أربعة آلاف)، كما طُردوا من فرنسا عامي 1306 و1394، فاستقروا في بادئ الأمر في ألمانيا وإيطاليا وشبه جزيرة أيبريا، ولكنهم طُردوا أيضاً من إسبانيا في عام 1492 ثم من البرتغال، فهاجروا إلى شمال أفريقيا وإلى إيطاليا وصقلية. كما هاجرت أعداد كبيرة إلى الإمبراطورية العثمانية التي كانت تشجع اليهود على الهجرة إليها لتنشيط التجارة. ولقد تدخلت الدول الغربية لمنع هجرة اليهود منها خشية أن يؤدي ذلك إلى انهيار النظام المصرفي والمالي والتجاري، الذي كان اليهود يلعبون فيه دوراً أساسياً. ومع أواخر العصور الوسطى، بدأت الإمارات الألمانية في طرد أعضاء الجماعات اليهودية. وكان شرق أوربا هو الجهة الأخيرة تقريباً بالنسبة إلى أعضاء الجماعات اليهودية الذين كانوا يُطردون من البلاد المتقدمة نتيجة ظهور

طبقات تجار محليين مسيحيين، إذ لم تَعُد هناك جيوب متخلفة أخرى يستطيع اليهود التقهقر إليها في الغرب .

وتجب الإشارة إلى أن الهجرة كانت تتم في هذه المرحلة بالتدريج وببطء شديد نتيجة عدم وجود وسائل مواصلات سريعة وطرق ميسرة كما هو الحال في العصر الحديث. وكثيراً ما كان اليهود المحليون يتصدون لليهود الوافدين لأنهم يشكلون خطورة إقتصادية عليهم [1] .

هكذا بدأ اليهود حياتهم ، فديانتهم (اليهودية) على شكلها الحالي قد بدأت نوّاتُها الأولى مع البدء بتدوين النصوص الدينية المقدّسة في زمن الأسر البابلي وكانت تُسمّى بأسفار موسى الخمسة الّتي كانت بعيدةً جدّاً عن شريعة موسى . وأصبحت هذه الديانةُ بعد ذلك ذات نصوص دينية أخرى اكتملت فيما بين الفترة البابلية و تدمير الهيكل نهائياً سنة 70 م . وأمّا بخصوص اليهود فقد كانوا خلال المراحل المذكورة أصحاب اتّجاهات دينية وفكرية عديدة و متباينة ، وجاءت فرق دينية كثيرة ، وتسرّبت عناصرة دينية وحضارية وقبلية وفلسفية كثيرة إلى المنظومة الدينية والفكرية لليهودية .

ظلّ الفكر الديني اليهودي و لعصورٍ عديدةٍ يأخذ مقوّمات وجوده وحركتَه من النصوص الدينية والأحداث السياسية والدينية عبر القرون . ممّا أدّى إلى تبلور فكرٍ ديني ذي طابعٍ مطاطيٍ و ألوان مختلفة . ومن الناحية الإعتقادية فقد زحفت تصوّراتٌ ومفاهيم وثنية وإنسانية وأساطير متوارثة من حضارات الشرق القديمة ورؤى فلسفية وتعاليم الأديان الأخرى إلى الهيكل العقائدي المحرّف أصلاً من قبل رجال الدين اليهود . وفي العصر الحديث نرى أن حركات تنويريةً وإصلاحيةً أو أرثوذكسيةً كثيرة قد ظهرت إلى الساحة الفكرية والدينية اليهودية ، وبذلت هذه الحركاتُ من خلال أفكارها جهوداً حثيثة باتّجاه قراءة الواقع اليهودي

---

[1] المعلومات عن هجرات اليهود نقلناها عن المرجع نفسه ، بتصرف وتلخيص ، م2 ، ج 1 ، ب6 ، مدخل (هجرات أعضاء الجماعات اليهودية حتى بداية العصر الحديث).

قراءةً واقعيةً وعقلانيةً ، أو باتّجاه ترسيخ المفاهيم العنصرية والأيديولوجية والعنفوية من خلال تجديد العناصر الأسطورية المستمدّة من النصوص التوراتية والتلمودية مثل أسطورة الشعب المختار و الأرض الموعودة ..... الخ .

عنوان هذه الدراسة لا يسمح لنا بعرض أكثر ممّا كتبنا عن تأريخ اليهود القديم ولا بعرض المشهد الفكري لليهود عبر القرون . وما كتبناه كان بمثابة مقدّمة تمهيدية و توضيحية حيث كانت لابدّ منها ، و ذلك لأن قراءة كلّ الإتّجاهات الفكرية اليهودية تحتاج إلى الدراية بالواقع التأريخي لليهود لأنّها تتّخذ من هذا التأريخ مرجعاً دينياً أساسياً لنشاطاتها ، وتُخرج مفرداتها من هذا المنبع أيضاً مع محاولات التجديد والغربلة والتسوية .. من هذا المنطلق ينبغي أن نشير أيضاً إلى المصادر الّتي تكوّنت في ذلك التأريخ و الّتي يستمدّ الفكرُ اليهودي . الإتجاهات الدينية خاصة . روحَه وحيويتَه بل وجودَه منها و يُرجع فلسفةَ توجّهاته إليها ..

المبحث الثاني : مصادر الفكر اليهودي

توطئة

المطلب الأول : العهد القديم

المطلب الثاني : نصوص ما بعد العهد القديم

توطئة

اليهود عموماً لديهم مصادر يستمدّون منها منهج الحياة والمبادىء الأساسية لنشاطاتهم الدينية والسياسية . هذا بشكل عام ، وهناك تيارات يهودية و مفكّرون عديدون يرفضون فكرة قداسة النصوص الدينية ، إلاّ أنّهم قليلون بالنسبة للّذين يقدّسون النصوص و يعتبرونها منهج الحياة .

وهذه المصادر تتجلّى في شكل نصوصٍ دينيةٍ مقدّسةٍ عندهم . بالنسبة للنصوص المقدّسة فإن أهميتها لا تكمن فقط في دلالاتها الدينية ، بل أهميتها تتجلّى أيضاً في دلالاتها التأريخية و التراثية حيث تشمل التأريخ اليهودي من نواحيه المختلفة كالحياة السياسية و التحوّلات و الهجرات والحياة الإجتماعية و الثقافية لليهود القدماء .

و الآن في المجتمع اليهودي أو نقول الإسرائيلي هناك رؤى متباينة للنصوص الدينية المقدّسة . فالجماعات أو الفئات المغالية في التديّن تعدّ هذه النصوص دليلاً روحياً و أخلاقياً و دينياً وعملياً في الحياة اليومية ، من جهة أخرى تنظر إليها الفئات العلمانية دليلاً تأريخياً و حضارياً يمكن أن تُجرى بشأنه أبحاث ودراسات نقدية . هذا بالنسبة لمكانة النصوص الدينية في العصر الحاضر .

والنصوص الدينية اليهودية بشكلٍ عام وحسب ظهورها التأريخي تتكوّن من قسمين :

الأول هو العهد القديم أو ما يُسمّى بالتوراة . هذا أول نص دينيٍ ظهر في تأريخ اليهود ، وقد أكّد القرآن الكريم أيضاً نزول التوراة وحياً إلى سيدنا موسى عليه السلام ، لكن ليس على شكلها الحالي .

والقسم **الثاني** يتكوّن من شقّين : الأول هو كتاب (التلمود) الّذي ظهر بعد تدوين أسفار العهد القديم ، وهو في الأساس شروحات وتفسيرات لنصوص العهد القديم . والشق الثاني هو (القبّالاه) التراث الصوفي لليهود . وقد ظهر بعد انتشار

التلمود وكان له تأثير عميق في حياة اليهود حتّى حلّ محلّ التوراة و التلمود في مرحلة معيّنة من تأريخ الجماعات اليهودية خاصّة في القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد .

النصوص اليهودية باتت معروفةً للجميع إذ يتناولها جميعُ الدراسات الّتي تبحث عن الديانة اليهودية وبشتّى الأساليب والتقسيمات . نحن في هذا الفصل نُقسم المصادر الدينية للفكر اليهودي حسب ورودها التأريخي و سنفعل ذلك من خلال مطلبين : في الأول نتناول النصوص القديمة الّتي تُسمّى بالعهد القديم ، وفي الثاني ندرس نصوص ما بعد العهد القديم في فقرتين : الأولى مخصّصة لبحث التلمود ، والثانية تُعنى بدراسة القبّالاه .

و إيراد هذا المبحث بعد دراسة التأريخ اليهودي في تصوّرنا كان ضرورياً ، وذلك لنُحيط بالمسألة (الفكر اليهودي) إحاطةً علميةً تُظهر البُنى التحتيّة أو الخلفيّة الدينيّة لهذا الفكر .

المطلب الأول

العهد القديم

(Old Testament)

اليهود و المسيحيّون أيضاً كانوا في العصور القديمة والحديثة يعدّون العهد القديم مصدراً دينياً مقدّساً ، ويعتقدون أن التوراة (أسفار موسى الخمسة) كانت قد كُتبتْ أيّام موسى النبيّ وبيده (عليه السلام) ، على مبدأ أنّها نصوص قد تلقّاها موسى وحياً من الرّب (يهوه) إله اليهود .

العهد القديم جزءٌ من الكتاب المقدّس ، إذ أنّ ما يُعرف اليوم باسم الكتاب المقدّس ينقسم إلى قسمين أساسيين هما : العهد القديم وهو الكتاب المقدّس لدى اليهود ، والعهد الجديد ويتضمن الأناجيل وأعمال الرسل وهو خاصّ بالنصارى . لكنّ المسيحيين يأخذون بالقسمين معاً ، إنطلاقاً من قاعدة رئيسية أنّ (المسيح) لم يأت ليُنقض ناموس (موسى) .

فالكتاب المقدّس جاء نتيجة تجميع النصوص العِبرية و الأناجيل المختارة ، حيث " قامت الكنيسة الكاثوليكيةُ (*) في القرن الثالث الميلادي بتجميع الكتابات العِبرانية المقدّسة . سواء تلك الّتي يقبلها اليهود جميعاً ، أم الّتي كُتبتْ باللغة اليونانية و يقبلها بعض اليهود في أماكن مختلفة من العالم . وشكل منها الكتاب المقدّس . واكتملت نسخةُ الملك جيمس ، وهي النسخة الموثوقة عام 1611 ، وهي أفضل ترجمة معروفة باللغة الإنجليزية للكتاب المقدّس، رغم أنّ هناك ترجمات أخرى كثيرة .[1] "

فالكتاب المقدّس يتكوّن من شقّين : العهد القديم والعهد الجديد . الّذي يهمّنا في دراستنا هو تناول العهد القديم فقط الّذي يشكّل المصدر الدينيّ المقدّس بالنسبة لليهود وللمسيحيين أيضاً مع اختلافات في بعض الأسفار . ونعتمد على التقسيم الّذي اعتمده البروتستانت [2] للنصوص .

ونحاول أن نقسم هذا الموضوع إلى فقرتين : في الأولى نأتي بتعريف عامّ للعهد القديم وأسفارِه ، وفي الثانية نكتب قراءَتنا التوضيحية للتوراة ، وهي قراءةٌ عامّة توضح حقيقةَ العهد القديم .

أولاً : تعريف بالعهد القديم

العهد القديم هو " التسمية العلمية لأسفار اليهود ، وليست التوراة إلاّ جزءاً من العهد القديم ، وقد تُطلق (التوراة) على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكلّ ، أو لأهميّة التوراة ونسبتها إلى موسى . [1] " التوراةTorah هي أساس كافة النصوص

(*)الكنيسة الكاثوليكية : هي الكنيسة الغربية او اللاتينية أو البطرسية (نسبة الى بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم) ، ومعناها (الكنيسة العالمية) ويقول قادتها بأنهم المسؤولون عن نشر الدين و التبشير به بين الناس ، و تتبع هذه الطائفة النظام البابوي الذي يرأسه البابا، و هناك مجلس أعلى يضمه النظام البابوي يسمى(مجلس الكرادلة) له حق إصدار أنظمة الكنيسة، و أصبح البابا ممثلاً للسيد المسيح أو لله في الأرض ، وفي نهاية القرن التاسع عشر ، صدر مرسوم عن مؤتمرات الكنيسة يقول بعصمة (بابا روما) لذلك أصبحت كلمته ملزمة . / الساموك، د.سعدون محمود ، محاضرات في اليهودية و النصرانية ، المرجع السابق ، ص 80.

(1)إمام ، أ. د . إمام عبد الفتاح : معجم ديانات وأساطير العالم ، مكتبة مدبولي (القاهرة) ، بدون سنة الطبع ، ج 1 ، ص 201 .

(2)هو المذهب الذي أسسه المصلح الديني (مارتن لوثر) في أواخر القرن السادس عشر و بداية السابع عشر ، للتعرف على هذا المذهب أنظر ص (237 . 242) و على رائده ص (92) في الهامش من هذه الدراسة .

(1)شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 238 .

اليهودية المقدّسة ، وهى كلمة عِبرانية تعني (التعليم) ، والأسفار الخمسة تستعملها بمعنى مجموعة من التشريعات وبهذا يكون معناها (قانون) ، وهذا لفظ شائع أيضاً وكثيراً ما تُترجم التوراة على هذا النحو .

جاء في (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية) [2] أنّ : «توراة» كلمة من أصل عبري مشتقة من فعل «يوريه» بمعنى «يُعلِّم» أو «يوجِّه» ... ولم تكن كلمة «توراة» ذات معنى محدد في الأصل، إذ كانت تُستخدَم بمعنى «وصايا» أو «شريعة» أو «علم» أو «أوامر» أو «تعاليم»، وبالتالي كان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى اليهودية ككل ، ثم أصبحت تشير إلى أسفار موسى الخمسة (مقابل أسفار الأنبياء وكتب الحكمة والأناشيد) . ثم صارت الكلمة تعني العهد القديم كله ، مقابل تفسيرات الحاخامات. ويُشار إلى التوراة أيضاً بأنها القانون أو الشريعة ... وقد شاع هذا الاستخدام في الأدبيات الدينية اليهودية حتى أصبحت كلمة «توراة» مرادفة تقريباً لكلمة «شريعة . " «

وكما قلنا فإن التوراة بموجب تعاليم اليهودية نصوص منزّلة من عند الله ، ومن جهة أخرى يرى الكثير من الدارسين والمفكّرين اليهود بأن التوراة هي نصوص وضَعها عددٌ من المؤلِّفين و جُمعتْ بالتدريج على مرّ فترة طويلة . والعهد القديم يُعرف أيضاً بالـ (تناخ) ، Tanach وتتكوّن الكلمةُ من الحروف الأولى لمجموعات الكتب الثلاثة الّتي هي : الأسفار الخمسة (توراة) ، والأنبياء (نفيئيم) ، والكتب المدوّنة (كتوفيم) . والـ (تناخ) تمت بلورتُها بصورتها النهائية في الفترة الواقعة بين السبيّ البابلي و القرن الأول الميلادي .

العهد القديم يتكوّن من ثلاثة أقسام . معترف بها عند البروتستانت . ومجموع أسفار هذه الأقسام هو 39 سِفراً ، على النحو التالي : .

1. أسفار موسى الخمسة أو التوراة :

و تُسمّى أيضاً بشريعة موسى . ومن هنا يعتقد اليهود أن التوراة أنزلها اللهُ إلى موسى في سيناء حرفاً حرفاً . التوراة تتضمن خمسة أسفار هي : التكوين ، الخروج ،

---

[2] م5 ، ج2 ، ب4 ، مدخل (التوراة) .

اللاويّون (الأحبار) ، العدد ، التثنية. بالنسبة لسِفر التكوين فإنّه يشمل : قصةَ خلق البشر و الخطيئة الّتي ارتكبها أبو البشر ، ونشأة الشعوب بعد الطوفان وقصة إبراهيم إلى يوسف عليهما السلام . وعموماً يهتم سفر التكوين برواية حكايات عبرانية قديمة منذ خلق البشر إلى يوسف في مصر ، وهناك أحداث وحكايات كثيرة بالنسبة لبني إسرائيل يحكيها هذا السفر والأسفار الباقية أيضاً . هذا بالنسبة لسفر التكوين الّذي يُعد الجزء الأول من الناموس Law أو التوراة . و باقي الأسفار تواصل رواية تأريخ العبرانيين ، فهي تبحث عن أحداث ما بعد يوسف من مجيء موسى ورسالته وخروجه من مصر مع بني إسرائيل وفترة التّيه في صحراء سيناء . وبالنسبة لسفر اللاويين الّذي يُسمّى في اللاتينية (Leviticus) نسبة إلى أسرة لاوي أو لـيـظـى . فإنّه يحتوّي على الشرائع و الأحكام والوصايا للحياة اليومية والعملية والعبادية والأعياد والزواج .

وسِفر العدد سمّي به لأنّه إحصاء وتعداد للشعب العبراني ، ويروي حكاية الشعب العبراني من السنة الثانية لِفترة التيه حتّى وصولهم إلى أرض مؤاب .

وبالنسبة لسفر التثنية آخر الأسفار الخمسة فإنّ معناه الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعليم ويُسمّى أيضاً (تثنية الإشتراع) وفيه يكرّر وصايا يهوه ، وينتهي السِفرُ بخبر وفاة موسى ودفنه في جبال مؤاب.

2. أسفار الأنبياء :

هي أسفار منسوبة لأنبياء بني إسرائيل جاءت في مراحل زمنية مختلفة ، وترتيبها في العهد القديم لم يكن على أساس التسلسل التأريخي . هذه الأسفار تتكوّن من 21 سِفراً ، ستةٌ منها تُسمّى بـ (أسفار الأنبياء المتقدّمين) وهي: (يشوع ، القضاة ، صموئيل الأول ، صموئيل الثاني ، الملوك الأول ، الملوك الثاني).

والأسفار الخمسة عشر الأخرى تكوّن الصنفَ الثاني من هذه الأسفار الّذي يُسمّى بـ (أسفار الأنبياء المتأخّرين) ، ثلاثةٌ منها مخصصة للأنبياء الكبار المتأخرين ، هي (سِفر إشعيا ، سفر إرميا ، سفر حزقيال) . والباقي للأنبياء الصِغار المتأخرين أو الأنبياء قليلي الشأن المتأخرين ،والأسفار هي :

)هوشع ، يوئيل ،عاموس ، عوبَديا ، يونان ، ميخا ، ناحوم ، حَبَقوق ، صَفَنيا ، حَجّي ، زكريا ، مَلاخي . (

وباختصار تتناول هذه الأسفار الموضوعات الآتية : .

بالنسبة لـ (أسفار الأنبياء المتقدّمين) فإنّها سلسلة تأريخية متواصلة من حياة بني إسرائيل . وعادة الأسفار يأتي الواحد بعد الآخر ليكون متمّماً لما قبله . وبالنسبة لسِفر (يشوع) فإن أهم موضوعاته الإستيلاء على أرض كنعان بقيادة (يوشع بن نون) الّذي اختاره موسى خليفةً له، ومن ثم يتناول بحث تقسيم البلاد ثم موت يشوع . و(القضاة) سِفرٌ سمّي باسم رؤساء بني إسرائيل حتى فترة الملوك فإنّهم سُمّوا بـ (القضاة) ، هذا السِفر يروي أفعال هؤلاء القضاة حتى إقامة النظام الملكي .

وسفر (صموئيل الأول) سجلٌّ للأحداث الّتي أدّت إلى قيام مملكة إسرائيل ، وموضوعاته الرئيسية هي البحث عن حكم صموئيل والأحداث الّتي وقعت إبان حكمه ، وينتهي السفر بموضوع قتل صموئيل وأبناءه على يد الفلسطينيين . أما سفر (صموئيل الثاني) فإنه يروي قصة داود وكيفية استلامه السلطةَ و تحوّلهِ إلى ملك على مملكة يهوذا ، ثم بعد ذلك على كلّ بني إسرائيل . وهذا السفر يعني أيضاً ببحث الأيام الأخيرة في حياة داود .

وسفر (الملوك الأول) يتحدث عن موت داود ، واستلام السلطة من بعده من قِبلِ ابنه سليمان ، ويروي حكايات وأحداث إسرائيل ويهوذا ، ويتحدث عن شخصيات هامّة في حياة بني إسرائيل ، مثل أخاب ، وإيليا ، واليشع ... وغيرهم . أما سِفر (الملوك الثاني) فإنه تتمّة للملوك الأول . ويتحدث عن نهاية المملكة الشَمالية وعهد حزقيال في يهوذا ، وعن (هوشع) ملك إسرائيل وقتاله مع الآشوريين وهزيمته أمامهم . وينتهي السفر ببحث تدمير المملكة الجَنوبية .

وأمّا (أسفار الأنبياء المتأخرين) فإنها تعنى ببحث حياة وأقوال الأنبياء المتأخرين لليهود . هؤلاء الأنبياء جاؤوا فيما بعد السبي البابلي حتى ميلاد المسيح عليه السلام . والأسفار تبدأ بسِفر (إشَعيا) أول الأنبياء المتأخرين وتنتهي بـ (ملاخي)آخر أنبياء العهد القديم. هذه الأسفار بشكل عام تورد أقوالَ هؤلاء الأنبياء

وتحذيراتهم لبني إسرائيل من خطاياهم وتمرّدهم من الله وولعهم بجمع المال والإهتمام بالثروة والترف . وتورد نصائحَهم أيضاً لبني إسرائيل لكي يتوبوا عن خطاياهم . وفيها تنبّؤات وتبشيرات هؤلاء الأنبياء ، تنبّؤاتُهم كانت تبحث عن عقاب صارم من الرب لبني إسرائيل بسبب انحرافاتهم وخطاياهم .

وتبشيراتُهم كانت بمجيء وظهور مسيح منتظَر يُخلص بني إسرائيل من أعدائهم .

باختصار تشمل أسفارُ الأنبياء عموماً نصوصاً تأريخيةً تروي حياة بني إسرائيل من دخولهم أرض كنعان إلى طردهم من بابل ، كما تشمل العظات الدينيةَ والإجتماعيةَ للأنبياء ، وفي كلّ هذه المواضيع تتّسم الأسفارُ بقِطَعٍ شعريةٍ ودينيةٍ [1] .

3. الكتابات:

هو القسم الثالث والأخير للعهد القديم . تتضمّن الكتاباتُ ثلاثةَ عشر سِفراً ، على النحو التالي : .

. المزامير : معظم هذه المزامير (الزبور في المصطلح القرآني) تُنسب إلى داود . وهي أناشيد وتراتيل وتسابيح روحية .

. الأمثال : يتضمن هذا السفر مجموعة من الأمثال وتعاليم عن الحكمة ، وتبدو الحكمة كأنها شخص يتكلّم ، يُنسب هذا الكتاب إلى سليمان الملك الّذي يعتبره بنو إسرائيل الحكيمَ الوحيد .

. أيوب : هذا السِفر يروي حياة النبي أيوب وما أصابه من نكبات ومصائب .

. نشيد الأناشيد : وهي أغاني وتراتيل شعبية تُذكر في حالات الفرح والزفاف . وهي منسوبة إلى النبي سليمان .

. راعوث : هذا السِفر منسوب إلى امرأة مؤابية إسمُها راعوث ، هذا السفر رواية أو حكاية ملخّصة لحياة هذه المرأة الّتي تكون حسب السفر أمَّ عوبيد جدّ النبي داود .

---

[1] للمزيد من المعلومات حول مفاد أسفار موسى الخمسة والأنبياء أنظر الكتاب المقدّس ، الترجمة العربية المشتركة ، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط 1996 ، حيث توجد . إضافةً إلى الآيات والإصحاحات نفسِها . مقدّمة لكلّ سفر من أسفار العهد القديم توضح أهم ما يتناوله السِفر ، وانظر د. إمام عبد الفتاح إمام : معجم ديانات وأساطير العالم ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 201 . 206 ، و شلبي : مقارنة الأديان ، ج1 ، ص 241 . 243 .

. المراثي : ويُقال أيضاً مراثي إرميا . هذا السفر فيه قصائد تُنسب إلى النبي إرميا ، إذ هو يُرثي لحالة بني إسرائيل ودولة يهوذا وإسرائيل و ما أصاب اليهودَ من نكباتٍ وانحرافاتٍ آنئذ .

. الجامعة : هذا السفر حافلٌ بتوجّهات فلسفية عن العالم وخالق الكون.

. أستير : أستير إسم امرأة يهودية استطاعت أن تُنقذَ اليهودَ من الهلاك والتدمير ، فالسِفر يُحكي قصةَ هذه المرأة وأفعالَها .

. دانيال : يُعني هذا السِفر بحياة وأفعال النبي دانيال .

. عزرا : يُعني ببحث عودة بني إسرائيل إلى أورشليم بعد أن أَذِنَ لهم بذلك الملكُ الفارسيُ (كورش) ، أي بعد السبي البابلي ، و يروي أيضاً قصةَ بناء الهيكل ثانيةً .

. نحميا : تتمّة للسلسلة الّتي بدأها سفرُ عزرا من موضوع عودة بني إسرائيل إلى القدس .

. أخبار الأيام الأول : سجلٌ ملخّص للأسفار السابقة من العهد القديم ، يبدأ بإعادة ما جاء في الأسفار السابقة من بحث بداية الخلق والحياة البشرية حتى السبّي البابلي .

. أخبار الأيام الثاني : نفس المواضيع الّتي جاءت في السِفر السابق . ونحن أوردناه منفصلاً عن سِفر أخبار الأيّام الأول لغرض التوضيح العددي للأسفار فقط . [1]

هذا ملخّص ما جاء في الكتابات من أسفار ، وبهذا القسم ينتهي العهد القديم . فهو بأقسامه الثلاثة (أسفار موسى الخمسة ، وأسفار الأنبياء ، والكتابات) يمثّل النصَ الشرعيَ الّذي اعتمدت عليه الفرقُ اليهوديةُ وقبلتْه ، واتّفق العلماءُ والفقهاء اليهود عليه وجعلوه مصدراً مقدّساً لكلّ من يعتنق الديانةَ اليهوديةَ ..

---

[1] للتفصيل حول تلك الأسفار كلها ، أنظر الكتاب المقدس ، المرجع نفسه ، ص 616 661 ، 789، 839، 1023، 827، 605، 1102، 571، 585، 486، 524 ، و شلبي ، المرجع نفسه ، ص 244 ـ 252 .

ثانياً : قراءة توضيحية

هناك دراسات كثيرة تناولت نصوصَ العهد القديم (التوراة) ، أو حاولت قراءة العهد القديم ككلّ من ناحية تأريخه و بيان حقيقته أو زيفه ، وتنوعت هذه الدراسات في الرؤى والإتجاهات أو الإستنتاجات . بالنسبة للدارسين اليهود المغالين في التديّن فإن تفسيراتهم ودراساتهم للنصوص العِبرية كلّها تبيينات وتبريرات أو توضيح العبارات وتوظيفها قي خدمة الأهداف الدينية . لكن هناك نوع آخر من الدراسات . سواء من قبل اليهود أنفسِهم الّذين كان لهم في قراءاتهم للنصوص اتجاهات علمية دقيقة لا تخضع للعواطف الدينية أم من قبل الدارسين المستقلّين و المجرّدين من المعتقد اليهودي . يتّجه نحو قراءة النصوص باتجاه علمي أو عقلاني بحيث يُحاول أن يتعمّق في مدلولات النص الدينية والتأريخية بنظرة متفحّصة مع الإستعانة بالخلفيات التأريخية واللغوية . هذا النوع من الممكن أن يُطلقَ عليه إسم الدراسات أو التحليلات ، بينما النوع الأول لا يُطلق عليه غير التفسيرات الوعظية .

من هنا سنحاول أن نتناول العهد القديم من خلال موضوعات تبرز الجوانب الخارجية لهذا المصدر الديني وهذه الجوانب بدورها تُظهر حقيقة العهد القديم ، أي سنأخذ التوراة ككل وليس قراءة الأسفار والتفاصيل الأخرى المتعلّقة بها ، إذ من غير الممكن أن نفعل هذا في دراستنا الّتي موضوعها الأساسي لا يتعلّق بدراسة النصوص اليهودية.

وأحاول أن أتمسك بمنهج قراءة العهد القديم كما هو وليس من خلال ما يتوفر من الملاحظات والحقائق في النصوص المقدّسة بالنسبة لنا (الكتاب والسنة) . حيث أتصور أن كشفَ حقيقة أي أمر من خلال رموزه الذاتية وتعاليمه

الّتي يُعبر عنها بنفسه (أي كشف ذات الشيء من خلال ذاته) و هو أدق منهج للتحليل والدراسة . علماً بأنني أومن إيماناً قاطعاً بحقيقة ما يقوله القرآن عن تحريف التوراة والديانة الموسوية ، وهذا الإيمان ينبع عن قناعتي التامّة بأن القرآن كلامُ الله جلّ شأنه الّذي لا يًمكن أبداً أن يخطئ .

1. حقيقة العهد القديم

يزعم اليهود أن التوراة الّتي بين أيدينا اليوم كُتبت أيام موسى عليه السلام ، ويستند اليهود في هذا الإدّعاء على آراء تقليدية نقلها المتأخرون من اليهود عن السابقين اعتماداً على نصوص وردت في العهد القديم والتلمود . لكن مقابل ذلك هناك كثيرون في التأريخ القديم والحديث يرون في نصوص العهد القديم بصمةً بشريةً واضحةً أدّت بهم في نهاية المطاف إلى إنكار علاقة العهد القديم بموسى وعهده أي أنه قد كُتب بعد موسى بزمن طويل ومن قِبل رجال الدين اليهود .

منذ القِدم حتّى يومنا هذا ظلّ موضوعُ أصالة أو عدم أصالة العهد القديم في الأوساط الدينية . اليهودية والمسيحية أولاً ومن ثم الأوساط الإسلامية . موضوعاً حياً ومشكلةً عويصةً في نفس الوقت بوجه المعتقِدين اليهود المتشكّكين أصلاً في الديانة اليهودية.

" كان القدّيس الأرثوذكس الشهير (أوريغنس) [*] في القرن الثالث الميلادي قد أفتى ضدّ الّذين يشكّكون في العلاقة بين التوراة و موسى ، وهذا يرمز إلى أن التوراة في عصر انتشارها ومجْدِها كانت تُتشَكّك فيها. [1] "

هذا يدلّ على قِدم موضوع الشك في حقيقة نصوص العهد القديم . " وفي القرن الثاني عشر حيث كانت العصبية المذهبية لليهود والمسيحيين في القمّة أعلن

---

[*] **لم أعثر على ترجمة لحياته .**

[1] شفا ، شجاع الدين : درهزاره اى نو (كتابهاى توحيدى ، تورات ، انجيل ، قران) ، تولدى ديطر . ايران كيهن ، ضا ث ، 2002 ، 4 ص 188 .

(أبراهام بن عزرا) [**] . أكبر عالِم في القرون الوسطى في الإلهيات الّذي كان في طليطلة بإسبانيا . في كثير من كتاباته قناعتَه قناعتَه التامّةَ علناً بزيف وعدم أصالة أكثر النصوص التوراتية ، وكان قد اعتقد أن أسفار موسى الخمسة قد كُتبتْ من قِبل الكهنة أو الحاخامات اليهود الّذين عاشوا بعد زمن طويل من وفاة موسى . [2] "

وقد جاء علماء وفلاسفة كثيرون درسوا التوراة بدقّة أعلنوا قناعاتهم بعدم العلاقة بين التوراة وموسى ، ومن أمثال هؤلاء : (سبينوزا) [3] الفيلسوف الهولندي الكبير في القرن السابع عشر الّذي أُعلنتْ بحقه رسالةٌ تلعنه في مؤتمر للخامات اليهود بأمستردام عاصمةِ هولندا بسبب آرائه حول العهد القديم ، فكان يرى أنّ الكتب المقدّسة " ينبغي لها أن تُفحص من ناحية مصدرها وتأليفها وانتقالها ، بحسب مناهج فقه اللغة المطبقة على الكتب الأخرى. وبهذا وصل الأمر بسبينوزا إلى إنكار وضع موسى لأسفاره الخمسة ، وذلك ليرى في هذه الأسفار انتحالات لاحقة نسَبَها إلى عزرا . [4] "

وهناك فلاسفة و مفكرون آخرون لا مجال لذكر أسمائهم هنا ذهبوا هذا المذهب .

ونحن نعتقد بأن التوراة المعاصرة ليست التوراة الأصلية وأنها أُضيفت إليها نصوصٌ شوّهت تعاليمَ النصوص الأخرى الأصلية ، أو بباسطة نقول إنها نصوص بشريةٌ و حاخاميةٌ . وسنورد فيما يلي أهم الدلائل الّتي جعلتنا نعتقد بذلك . وهذه الدلائل أو التوضيحات لا أكتبها فقط لإثبات قناعتي هذه ، بل أقصد منها أن تكون نافذةً لعرض كتاب العهد القديم عرضاً توضيحياً يفي بالغرض الّذي من أجله أنشأتُ هذه الفقرة حيث ادّعيتُ في البداية بأنّها تتضمّن قراءةً توضيحيةً للعهد القديم .

[**] لم أعثر على ترجمة دقيقة لحياته.

[2] المرجع نفسه ، ص 188 .

[3] سبينوزا : إسمه (بندكت دو سبينوزا) (1632 –1677) ، ولد في أمستردام (بهولندا) من ابوين يهوديين كانا قد فرا من الإضطهاد في البرتغال في نهاية القرن السادس عشر . أتقن سبينوزا فن شحذ العدسات و صقلها ، وأخذ يعتمد على هذه الحرفة في كسب عيشه ، فكان يشتغل بها طوال النهار ثم يكب على دراسته في الليل ، و قد غير اسمه العبري باروخ الى مايقابله في اللاتينية وهو (بندكت) ، ألف كتباً أهمها : (رسالة موجزة في الله و الإنسان و سعادته) و(رسالة في إصلاح العقل) و(الرسالة اللاهوتية – السياسية) و (الأخلاق)./ الموسوعة الفلسفية المختصرة ، المرجع السابق ، مادة : سبينوزا ، ص 248–254 ، و سبينوزا ، ترجمة : عقيل حسين، سلسلة أعلام الفكر العالمي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر – بيروت ، بلا ، ص 9–20 .

[4] سبينوزا ، ترجمة : عقيل حسين ، المرجع نفسه ، ص 20.

أ . وجود نصوص توراتية تنفي ادّعاء كتابتها في عهد موسى النبي .

نرى هذه الحقيقة جليةً من خلال تتبّع أسفار التوراة ،ونذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر: .

. جاء في سِفر (التكوين 36 : 31) ما يلي : " وهؤلاء هم الملوك الّذين ملكوا في أرض أدوم ، قبلما قام ملوك في بني إسرائيل " . هذه الفقرة . وبعدها يأتي ذكرُ الملوك الّذين حكموا أرضَ أدوم قبل عهد الملوك الّذي بحثناه سابقاً . تدلّ بدون شك على أنها كُتبتْ في عهد الملوك أو بعده ، حيث تورد بشكلٍ صريح جملةَ (ملوك في بني إسرائيل) ومن الناحية التأريخية . ومن خلال النصوص التوراتية نفسِها . ثبت أن عهد ملوك بني إسرائيل جاء بعد موسى بعشرات السنين .

. وجاء أيضاً في سِفر (التثنية 34 : 7.5) : " فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب بأمر الرب ، ودفنه الرب في الوادي في أرض موآب تُجاه بيت فغور ولا يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا ، وكان موسى ابن مئةٍ وعشرين سنة حين مات . لم يكلّ بصره ولم تذهب نظرتُه . [1] "

فهل من الممكن أن نعترف بأن هذه السطور قد كتبها موسى بنفسه وهو يصف موته ودفنَه وحالتَه الجسمية في أيّامه الأخيرة من حياته ؟! وكلّها بصيغة الماضي وليس بصيغة المضارع، مثلاً أن يقول:

(إنّني سأموت في هذا المكان وعلى هذه الحالة) عندئذٍ لَقُلنا إنّه . عليه السلام . تكهّن بموته في هذا التأريخ وعلى هذه الحالة اعتماداً على النبؤات الإلهية . ونرى في النص أيضاً جملةَ (ولا يعرف أحدٌ قبرَه إلى يومنا هذا) نحن نسأل : ما معنى (إلى يومنا هذا) ؟ أليس هذا من كلام الكاتب الّذي عاش بعد موسى بزمن طويلٍ ؟

. وجاء في السِفر نفسِه في الفقرة الثامنة ما نصُّه : " فبكى بنو إسرائيل على موسى في سهل موآب ثلاثين يوماً حين انقضت أيام الحزن على موسى "

---

[1] للمزيد حول هذا النص والنص الّذي قبله أنظر مثلاً شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1، ص 258 .

التثنية 34 : 8 . وهذا وصف آخر أعتقد أنه حُفظ على لسان الأجيال المتعاقبة لليهود حتى أخذ لنفسه مكاناً في هذا السِفر بمساعدة كاتِبه . !

. ثم يجيء نص آخر يوصف حالة بني إسرائيل بعد موت موسى فيقول : " أما يشوع بن نون فملىء روح حكمةٍ لأن موسى وضع عليه يده فأطاعه بنو إسرائيل وعملوا كما أمر الرب ، ولم يقم من بعد نبيٌ في إسرائيل كموسى الّذي عرفه الرب وجهاً إلى وجه " التثنية 34 : 9 ، 10 .

ب . مآخذ نقدية عامّة على نصوص العهد القديم

في هذا السياق انتقدت التوراة كثيراً من قبل دارسيها ونحن نورد ما يكفينا لتوضيح الغرض ، وإثبات حقيقة عدم أصالة التوراة : .

1. ب : قصة اختفاء التوراة :

جاء في سفر الخروج ما نصّه " وتضع في التابوت لوحَي الوصايا الّتي أعطيك " الخروج25: 16.

مرّت الأيام حتى جاء عهد سليمان وفتح التابوت بعد أن وُضع في الهيكل " وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه في محراب الهيكل في قدس الأقداس .... " الملوك الأول 8 : 6 ، فلم توجد به نسخة التوراة ، وإنّما اللوحان الحجريان فقط كما يصرّح بذلك الكتاب المقدّس " ولم يكن في التابوت إلاّ لوحا الحجر اللّذان وضعهما فيه موسى في حوريب ، حيث عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر " الملوك الأول 8 : 9 .

وذكَرْنا سابقاً أنّه بعد سليمان انقسمت المملكةُ إلى قسمين (إسرائيل و يهوذا) ، وسقطت مملكة إسرائيل قبل يهوذا ، ومملكة يهوذا خضعت لسلطة الملك يوشيّا بن نون (629 . 598 ق.م) وكان له ميل هاديء في العودة للإيمان واتباع التوراة رجاء أن يكون في هذا إنقاذُ مملكته من الفوضى والدمار ، وكان الكاهن (حلقيا) الّذي

عاصر يوشيا انتهز فرصة هذا الميل لدى الملك فادّعى بعد سبعة عشر عاماً من حكم يوشيا أنّه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس ، وأعطاها شافان الكاتب .

فهل نقبل بوجود نسخة التوراة في بيت المقدس . المكان المعروف والمليء بالكهنة والحاخامات . خلال الفترات السحيقة قبل يوشيا وخلال السبعة عشر عاماً الأولى من حكمه ، ولم يرها أحد ؟. !

وهكذا يشكّك الباحثون في القصة أيضاً ، ويعتقدون أن حلقيا استغلّ ميل الملك يوشيا في العودة إلى التوراة فكتب خلال هذه الأعوام السبعة عشر ما أسماه أسفار التوراة . هذه القصّة الّتي تتعلّق بجوهر المسألة تكفينا لنجعلَها سنداً للتشكيك في جوهر و أصل التوراة . [1]

.2ب : تأريخ مزيّف لإسرائيل يخالف أحدث المعلومات التأريخية :

من خلال تتبّعنا لأسفار العهد القديم جميعاً نرى أنها تخلق نسيجاً من الروايات والحكايات التأريخية لا تستطيع أن تصمدَ أمام الحقائق والمكتشفات الّتي تظهر يوماً بعد يوم .

وإذا كانت هذه الأسفار من أقوال الرب كما يدّعي اليهود فكيف يُعقل أن يخطئ إلهٌ رقيبٌ على كلّ ما يجري في الكون ؟. !

من أهم المغالطات التأريخية الّتي تشكّل مساحةً كبيرةً في النصوص التوراتية هي مسألة تأريخ إسرائيل . فهذا التأريخ ظلّ ولمدّةٍ طويلة حبيس الآراء التقليدية المتوارثة من النصوص التوراتية . لكن بعد أن حلّت الدراسات الجدّية المجرّدة من العواطف الدينية ، والتحليلاتُ المعتمدةُ على الإكتشافات الأثرية محلَّ الاعتقاد الأعمى المستند إلى النصوص العبرية ، باتت المعلوماتُ التأريخيةُ المتوفرةُ في التوراة تتضائل مصداقيتُها التأريخية . (مع اعتقادي بأن هذا لا ينطبق على كلّ الروايات والمعلومات التأريخية الموجودة بالتوراة). في هذا الصدد يقول المفكّر السوري(المتخصّص في الدراسات الدينية والميثولوجية) فراس السواح : " لعلّ أهم ما تكشفه أمامنا المعلومات الجديدة المتوفرة خلال ربع القرن الماضي هو استقلال الصورة

---

(1) أنظر المرجع نفسه ، ج1 ، ص ص 256 . 257 .

التأريخية لإسرائيل عن صورتها التوراتية ، إستقلالاً دفَع بعض المؤرّخين الجدد إلى الدعوة لوضع الرواية التوراتية بكاملها على الرف ، وكتابة تأريخ فلسطين خلال الحقبة الّتي تغطيها أحداث التوراة ، بمعزل عن النص التوراتي والخبر التوراتي الّذي فقد لديهم كلّ مصداقية تأريخية. [1] "

مخالفة النصوص التوراتية للمكتشفات الجديدة إمّا أن تكون نابعةً من خطأ في المعلومات أو من روح تشويه الحقائق لأغراض معينة . وهذان الإحتمالان غير واردين إطلاقاً في نصوص تدّعي علاقتَها بالله سبحانه .

والأخطاء التوراتية وصلت إلى حد دعا بعض من المؤرخين والمفكرين إلى ترك الإعتماد على الروايات التوراتية، فمثلاً " يقول توماس .ل. تومبسون في كتابه Early History of the Israelite peopleالصادر عام 1992 ما يلي : إن الأبحاث الجديدة التي توفرت لدينا خلال ربع قرن مضى ، قد فرشت أرضية صلبة تمكننا الآن من صياغة تأريخ لإسرائيل مستقل عن البحث التوراتي . وليست الكتب والدراسات المنشورة حديثاً إلا برهاناً واضحاً على أن كتابة مثل هذا التأريخ ، بشكل موضوعي وطريقة وصفية ، قد صارت ممكنة . فجميع هذه المؤلّفات تقريباً تضع بين أقواس معترضة الأخبار التأريخية المقتبسة من التوراة (دلالة على الشك المبدئي بمضمونها) .. إن مقدرتنا المتزايدة على بناء تأريخ مفصل لأصول إسرائيل ، تجعل من الضروري ، أكثر فأكثر ، ترك الإعتماد على الروايات التوراتية كمصدر لكتابة التأريخ . وعلينا أن نتخلى بشكل جذري و واعٍ عن كل المسلّمات التي فُرضت علينا من قِبل النص التوراتي. [2] "

فالنصوص العبرية تحاول أن تخلق تأريخاً لإسرائيل مقاماً على أصول عبرية ليكون مبرراً مقدساً لمحاولات اليهود القديمة والحديثة لاغتصاب أرض ذات أصول عربية قديمة . فإذا كانت التوراة (توراة اليوم) رسالة الله ، فكيف يمكن أن تخلق

---

[1] السواح ، فراس : آرام دمشق وإسرائيل في التأريخ والتأريخ التوراتي ، دار علاءالدين ، ط 1 ، 1995 ، ص 7 .
[2] نقلاً عن المرجع نفسه ، ص 8 .

مبررات غير صحيحة ومعلومات غير دقيقة بل وكاذبة من أجل التبرير لاغتصاب حقوق وأرض شعوب أصيلة في المنطقة عاشت فيها منذ القدم ؟

.3ب : الوجود القوي للمعطيات الثقافية البشرية في نسيج النص التوراتي :

موضوع انحراف بني إسرائيل بعد دخولهم أرض كنعان في الفترة مابين عهد الأقوام أو الأسباط حتي الأسر البابلي موضوع بات من الحقائق التأريخية والتوراة نفسها تدل على ذلك .

إحتكاك بني إسرائيل بالأقوام الموجودة في فلسطين (خاصة الكنعانيين) أدّى بهم إلى التأثّر بالعقائد الوثنية والموروثات الشعبية والقصص الخرافية والأساطير الدينية . وهناك شبه إجماع لدى الباحثين على أنّ نصوص العهد القديم بدأ تدوينُها بعد وقوع اليهود تحت الأسر البابلي سنة 586 ق.م . هذا يجرّنا إلى أن نتساءل : لماذا بعد هذه المراحل يتم لليهود الإستعداد لتدوين نصوصهم المقدّسة ؟

في الجواب نقول : إنّهم حين اغتصبوا أرض كنعان واختلطوا بالشعوب هناك . ليس الإختلاط بالمعنى الدقيق للكلمة بل بمعنى أنّهم رأوا حياة هذه الشعوب . تأثّروا بحياتهم الحضارية ومن ثم بالمعطيات الثقافية والدينية لتلك الحضارة .

هذا التغير في حياة بني إسرائيل يُعدّ الخطوة الأولى باتجاه التمدن . وحين طُردوا من فلسطين وسُبوا إلى بابل رأوا حضارة أكبر ومدنية أوسع (حضارة بابل) [1]

---

[1] تسربت إلى أواسط مابين النهرين (حوالي عام 2500 ق.م) قبائل عربية أقامت مدة في غربي الفرات في شمالي سورية ، و أسست لها دولة في القرن التاسع عشر ق.م عاصمتها مدينة (بابل) على الفرات الأوسط . من اشهر ملوكها حمورابي (1710 . 1670 ق.م) الذي وطد حكم البلاد، فأسس إمبراطوريته على قواعد صلبة هي القوانين و التشريعات التي هي أقدم التشريعات البشرية ، و توسعت هذه الدولة حتى شملت بلاد الرافدين و الشام ، و عاشت حوالي ثلاثة قرون ... شريعة حمورابي تحتوي على ما يقارب ثلاثمائة بند واردة ضمن مقدمة و خاتمة . وهي مكتوبة باللغة البابلية على مسلة حجرية ، وهذه البنود تتعلّق بجميع مجالات الحياة (المدنية و السياسية و القضائية و العسكرية و العلمية و الإجتماعية و الزراعية و التجارية) لذلك تعتبر شريعة حمورابي من قبل المتخصصين بالقانون أول شريعة عرفها التأريخ الإنساني، وذلك من حيث تكامل بنودها و تفصيلات نصوصها. ومساهمات العلماء البابليين في تطوير كثير من المجالات في الواقع العلمي و الحضاري للإنسانية ، هي دليل آخر على شموخ و عظمة حضارة بابل ، ومن هذه المجالات : الرياضيات ، و الجغرافية ، وعلم الفلك ، والتأريخ .... الخ . فضلاً عن تمتع المجتمع البابلي المتحضر بخصال المجتمعات الراقية في الوقت الراهن ، فهو يتمتع بالعطل الرسمية ، وكان الإضراب تعبيراً احتجاجياً على تعسف السلطة ، و في بابل كان الملك يعد بشراً لم يستسغ مواطنوه عبادته و الإذعان المطلق لكل رغباته .. ففى هذه الحالة من

الّتي كانت من أكبر الحضارات قاطبة آنذاك . وبذلك تحرّكوا نحو الأمام بخطوة ثانية ووسّعت مداركُهم وتعلّموا الكثير من المباديء والمعطيات الحضارية بكلّ جوانبها . و كانت ثمرة هذه الخطوة أن بدأوا بكتابة نصوص دينية مليئة بالأمثال الموروثة من آبائهم القدماء والموروثات الشعبية والحضارية للأقوام الموجودة في منطقة الشرق الأوسط عموماً .

ويعتقد المفكر اليهودي المعاصر إسرائيل شاحاك أن معظم الأسفار الرئيسية بما فيها الأسفار الخمسة كتبت في القرن السادس قبل الميلاد بعد السبي البابلي. [2]

وهذه الخطوة في كتابة النصوص الدينية باتت نقطة الأساس في إنشاء ديانة خاصّة سمّيت باليهودية ، إذ نحن نعتقد بأن كتابة النصوص الدينية كانت بداية نشوء الديانة اليهودية ، إذ من هذه النصوص اشتقّت روحها واتّجاهاتها ..

وقد لاحظت موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية خلط المفاهيم البشرية في نصوص العهد القديم ، لذلك فقد قالت " : [1] يُلاحَظ على أسفار موسى الخمسة أن كثيراً من نصوصها يتشابه مع أساطير سومرية وبابلية، وتشريعات بابلية قديمة، ومثال ذلك :

. تشابه سفر التكوين (1 . 11) وملحمة الخلق البابلية .

. التشابه بين الأعمار المديدة لآباء البشرية منذ آدم حتى نوح (عشرة منهم مجموع أعمارهم 8575 سنة) في سفر التكوين (5)، وفي قائمة سومرية جاء أن ثمانية ملوك قبل الطوفان حكموا 241.200 سنة، وهناك قائمة بابلية جاء فيها أن عشرة حكام حكموا 432 ألف سنة .

. تشابه قصة الطوفان في سفر التكوين مع ملحمة جلجاميش التي ورثها البابليون عن الحضارة السومرية .

النمو و الرقي تغير أفكار و حياة اليهود ، وكان هذا نقطة البداية في الشروع بتدوين النصوص . / أنظر : الرفاعي ، حضارة الوطن العربي الكبير، المرجع السابق ، ص79 ، عيسى ، حسن عبيد : التآمر اليهودي على بلاد الرافدين... ، المرجع السابق ، ص ص 258،259 ، حبّي ، د. يوسف : الإنسان في أدب وادي الرافدين ، سلسلة الموسوعة الصغيرة (83) ، دار الحرية للطباعة . بغداد ، 1980 ، ص 47،65، 69،70 ، س.ن . كريمر : هنا بدأ التأريخ (حول الأصالة في حضارة وادي الرافدين) ، ترجمة : ناجية المراني ، سلسلة الموسوعة الصغيرة (77) ، دار الحرية – بغداد، أيلول 1980، ص 39-44 .

[2]أنظر شاحاك ، إسرائيل : الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ، ترجمة : حسن خضر ، سينا للنشر ، ط 1 ، 1994 ، ص 83 .

[1]المرجع السابق ، م5 ، ج1 ، ب1 ، مدخل (عناصر في اليهودية من الديانات والحضارات الأخرى) .

. تشابه قصة مولد موسى مع قصة مولد سرجون ملك أكاد .

. وضوح تأثير قانون حمورابي (1900ق. م تقريباً) في التشريع الوارد في سفر الخروج (21 . 23) والوصايا العشر . "

وتضيف الموسوعة أن اليهود عموماً تأثروا بكثير من العقائد البابلية ، مثل تقديس يوم السبت وتغطية الرأس أثناء الصلاة ، وبعد العودة من بابل تأثروا بالتراث الفارسي والأفكار الوثنية الموجودة في فلسطين والمناطق المجاورة لها . وتأثر الفكر الديني اليهودي بالفكر الهيليني ، فسفر (الجامعة) يتضمن رؤية عدمية تشبه من بعض الوجوه الفكرة الإغريقية الخاصة بأن التأريخ مثل الدورات الهندسية المحضة التي تبدأ وتنتهي بلا معنى [2] .

إذن بات من الواضح الحضور القوي للإنسان في تكوين النصوص الدينية اليهودية ، وهذا يؤدّي بنا إلى عدّ هذه النصوص إفرازات متنوعة من حضارات وثقافات البشر ، و بالتالي نجرّد القداسة منها ونضعها ضمن ما تبقّى من التراث البشري . مع اعتقادنا بأنه من الممكن أن يكون في هذه النصوص بعض من أقوال التوراة المنزلة إلى النبي موسى (عليه السلام) ، ولكن هذا لا يشفع للنصوص اليهودية بأن تُعدّ كتاباً مقدّساً ، فهذه الأقوال ظلت غارقةً في الإتّجاهات الحاخامية الّتي شوّهت معالمها لتكون في خدمة ما تؤدّي إليها هذه الإتجاهات .

هذه حقيقة لاحظها كثير من الّذين درسوا التوراة بروح علمية ونقدية . يقول فراس السواح " :[3] لقد أعلن بعض الباحثين منذ العقد الأخير للقرن التاسع عشر ، من أمثال E.Meyer و .. Gunkel بأن المصدر الأساسي للتقاليد التوراتية هو الحكايات الشعبية والملاحم وقصص البطولة التي كانت متداولة شفاهةً عند تحرير أسفار التوراة ، إبان و بعد السبي البابلي . وجادل Meyer بشكل خاص في أن كامل سفر التكوين ، برواياته عن الآباء أسلاف بني إسرائيل ، لا علاقة له بالتأريخ ، و يجب تصنيفه في زمرة الأخيولة الأدبية . "

---

[2] المرجع نفسه ، المدخل نفسه ، بتصرف قليل .

[3] آرام دمشق وإسرائيل في التأريخ والتأريخ التوراتي ، المرجع السابق ، ص 10 .

في ختام هذه النقطة (مآخذ نقدية عامة على نصوص العهد القديم) ينبغي أن نشير إلى أن المغالطات أو التناقضات في العهد القديم لاحظها أيضاً علماءُ التلمود ويرجَح أن تكون التناقضات نابعةً عن أن عدداً كبيراً من روايات الأسفار قد انتقل مشافهةً لذلك قد تعرضت هذه الأسفار إلى هذه التناقضات وعدم الإتّساق والتشويه والإضافات الشعبية خلال جيل أو أكثر ، لِما تتعرض له عادةً الأقوالُ المنقولة شفاهةً . أو أنها نابعة من سبب آخر ، وهو أن نصوص العهد القديم لم تأخذ صيغتها النهائية كما هي الآن إلاّ بعد انقضاء مئة عام على قيامة المسيح . وهذا يعني أن العديد من الأقوال (القصص والمعتقدات والملاحظات) أُقحمت في هذا التجميع أو التصنيف الأخير ، وكتابٌ يضم كل هذه العناصر البشرية فإنه حتماً تظهر فيه تناقضات وأخطاء .

علماء التلمود قسّموا المتناقضات في العهد القديم إلى ثلاثة أنواع : .

الأول هو : متناقضات تامّة ، أي تناقض المقطوعة منها الأخرى تماماً (بالعبرية : هخحاشوت) .

و**الثاني** يُسمّى بالعبرية (تموهوت) أي ما يثير الدهشة ، مثل خلق الطير من الماء.

والنوع **الثالث** هو : المتقدم والمتأخر (بالعبرية : موقدام أو مؤحر) ، أي عدم ترتيب المادة التأريخية في العهد القديم .

لذلك نرى أن علماً خاصاً باسم (علم نقد العهد القديم) ظهر إلى الوجود ، وهذا العلم يهدف إلى دراسة نصوص العهد القديم باعتبارها نصوصاً تأريخية . والمتناقضات حسب معايير نقاد العهد القديم تتكون من تناقضات في الأجزاء التشريعية ، والقصص ، وبين ما جاء في الشرائع وما ورد في القصص ، وفي تباين الأسلوب الأدبي ، وتناقضات بين ترجمات العهد القديم المختلفة ، وفي الأخبار أو المعلومات الّتي تتناقض في أغلب الأحيان مع الإكتشافات الأثرية .

ومنذ البداية أدرك الحاخامات وجود التناقضات وعدم الإتساق داخل النصوص التوراتية ، لذلك نراهم يلجؤون إلى محاولة تفسير هذه التناقضات والتبرير لها ، فمثلاً يقولون في شأن (سفر التثنية : 34) الذي يتناول موضوع موت موسى : أن موسى كتبه وهو يموت ، وأن الإله أملى عليه هذه الكلمات ، وأنها كتبت بروح النبوّة [1] .

لكن هذه التفسيرات إن لم تعمّق الجرح فإنها لن تعالجَه ، إذ هي تفسيرات دينية تُظهر حقيقتين:

الأولى هي . انطلاقاً من مبدأ أن التبريرات أو التأويلات للأشياء نابعةٌ عن شعور بنقص أو خطأ فيها . أن التناقضات في النص التوراتي أصبحت حقيقة ملموسة بشكل لا يستطيع المؤمن اليهودي الّذي أثّرت الديانة اليهودية في عقله وعاطفته أن ينكر وجودَها أو على الأقل أن لا يشعر بها ، لذلك نراه يلجأ إلى تفسيرها وتأويلها .

و**الثانية** هي : أن هذه التفسيرات تعكس مدى تأزم الوضع داخل النصوص الدينية اليهودية ، وتعكس المأزق الّذي وصلت إليه هذه النصوص .

إضافةً إلى ما قيل عن العهد القديم من المآخذ النقدية ، فإن هناك نصوصاً في هذا الكتاب لا يمكن أن ينسبها العقل السليم إلى المصدر الإلهي . ومن هذه النصوص نرى صوراً عجيبةً لأدب الفراش والجنس المكشوف . هذه الصور تعرضها نصوص قبيحة بشكل يندهش المرء من عقل أولئك الّذين يقدّسونها ! ، و باستطاعة القارئ أن يرجع إلى الأسفار التي تتحلّى بهذه المشاهد ، وعلى سبيل المثال لا الحصر أنظر : (سفر نشيد الأنشاد) كل إصحاحاته خاصةً الإصحاح الأول ، والثالث ، والسابع ، وفي هذا السِفر نرى وصفاً جنسياً غريباً لأعضاء جسم (بنت الأمير) ! ، و (سِفر حزقيال) من الإصحاح الأول إلى آخره (التاسع والأربعين) حيث توجد فيه حكاية عن (الأختان الزانيتان) ، و (سفر مزمور 60 : 6 . 8) ، أو (صموئيل الأول 20 و 30 كلها) ، أو (أمثال 7 : 9 . 23) ..

وفي نصوص أخرى نرى أصولاً للعنف و الإضطهاد بصورة واضحة ، ونرى وصفاً غريباً لأنبياء الله مثل داود و سليمان و نوح عليهم السلام ، بصورة يجب علينا

---

[1] موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المرجع السابق ، م 5 ، ج 2 ، ب 4 ، مدخل (نقد العهد القديم) ، بتصرف .

أن نفرّق بين هؤلاء الأنبياء والأنبياء المذكورين في القرآن، فداود القرآني أو سليمان أو نوح أو أيّ نبي آخر ليس هو الّذي تذكره التوراة إطلاقاً .

ونرى أصولاً حلولية تدّعي اتحاد الإنسان بالله أو الشعب بالله ومن هنا يأخذ اليهودي أو الشعب اليهودي لنفسه القداسةَ ليكون هو المختار والمميز من قبل الله . مع كل هذا فإن أخطر انحراف موجود في العهد القديم هو الإنحراف عن عقيدة التوحيد التي دعا إليها موسى وكل الأنبياء (عليهم السلام) .

وفي الحقيقة إن القول بأن اليهودية ديانة توحيد هو خطأ كبير . لأن اليهود . من خلال النصوص الدينية . تعترف بآلهة أخرى بجوار(يهوه) . في هذا الصدد يقول إسرائيل شاحاك : [1]

" إن الديانة اليهودية هي، وكانت دائماً ، ديانة توحيد كما يعرف فى الوقت الراهن كثير من العلماء التوراتيين ، وكما تبين أي قراءة متأنية للعهد القديم بسهولة .فإن هذا الرأي اللاتأريخي خاطئ تماماً . هناك في كثير من . إن لم نقل في كل . أسفار العهد القديم حضور وسلطة لأرباب آخرين معترف بهم صراحة ، لكن يهوه أقوى الأرباب (الخروج 11 – 15) ، غيور جدا من منافسيه ويحظر على شعبه عبادتهم (نفس المصدر 20 : 3 – 6) . ولا يظهر الا فى نهاية التوراة فقط ، لدى بعض الانبياء المتأخرين ، إنكار لوجود جميع الأرباب ما عدا يهوه (إرميا 10 واشعياء 44) . "

هكذا نرى نصوص العهد القديم ، فهي في صورة لا يمكن أن تتسم بها أية رسالة من رسالات الله ! موضوع نقد العهد القديم موضوع مطول جداً تناولته دراسات كثيرة ومتنوعة ، ونحن في دراستنا أشرنا إلى هذا الموضوع فقط للتوضيح ، وإلاّ فإن الموضوع لا تستطيع دراسة واحدة أو عشرات منها أن تسلّط الضوء عليها كاملةً .

2. المفاهيم اليهودية الصلبة

إن العهد القديم له تأثير كبير على عقلية اليهود عموماً جماعات وأفراداً . ففي القرون القديمة حين كتبت النصوص التوراتية تَوَلَّدَ شعورٌ لدى اليهود قدّس مفاهيم و مبادئ مستمدّة من هذه النصوص.

طوال القرون الماضية في التأريخ عملت النصوص اليهودية في عقلية و رؤية الفرد اليهودي ، وقد تجاوبت وتفاعلت عقلية هذا الأخير مع تعاليم و إرشادات تلك

[1] الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ، المرجع السابق ، ص 50 .

النصوص ، مما أدّى إلى تبلور مفاهيم و قناعات ظلّت شعائر كل يهودي عبر القرون.

مئات السنين يقرأ اليهودي نصوصاً ، منها:

" أنتم أبناء الرب إلهكم ، فلا تخدشوا أجسادكم حزناً على ميت و لا تجرحوا ما بين عيونكم ، لأنكم شعب مقدّس للرب إلهكم الذّي اختاركم له من بين جميع الشعوب الّتي على وجه الأرض ، [1] " أو " الأجانب يرعون غنمكم ويكونون فلاّحيكم وكرّاميكم . تُدعوْن كهنة الرب وتُسمّون خدمة إلهنا . تأكلون خيرات الأمم ، وباغتصاب أمجادهم تفتخرون . [2] " أو " من الأمم الذين حواليكم تقتنون العبيد والإماء . وتقتنونهم أيضاً من أبناء الغرباء المقيمين معكم و من عشائرهم الذين عندكم ، المولودين في أرضكم . هؤلاء تأخذونهم لكم . وتورثونهم لبنيكم من بعدكم ملكاً لهم ، فيستعبدونهم ماداموا أحياءً ، وأما إخوتكم بنو إسرائيل ، فلا يتسلّط أحدهم على آخر بعنف . [3] "

وفي سفر التثنية جاء أن الرب يكون لهم عوناً في إبادة الشعوب واضطهادهم ، فيقول الرب مخاطِباً شعب إسرائيل : " فلا ترهبْهم لأن الرب إلهك فيما بينك إله عظيم رهيب . يبيد أولئك الأمم من أمام وجهك قليلاً قليلاً . فأنت لا تقدر أن تفنيهم سريعاً لئلاّ يكثر عليك وحش البرية . [4] "

وفي نفس السِفر نرى أن الرب يأمرهم بنشر الخوف والرعب واستعمال أقصى درجات العنف أمام باقي الشعوب والأمم حيث جاء ما يلي : " إجعل خشيتك وخوفك أمام وجوه الشعب تحت كل السماء ، الذين يسمعون خبرك يرتعدون ويجزعون أمامك. [5] "

وهناك أسفار أو نصوص كثيرة أخرى عملت منذ ظهورها في التركيب السايكولوجي للفرد اليهودي . لذلك نرى هذا الفرد كائناً مختلفاً في الطبائع والقيم والمعايير الإنسانية . فبينما يرى أناس العنف كطبيعة شريرة وقبيحة ، فإن اليهودي .

---

(1)التثنية 14 : 1 . 2 .
(2)إشعيا 61 : 5 . 6 .
(3)اللاويين 25 : 44 . 46 .
(4)التثنية 7 : 21 . 22 .
(5)التثنية 2 : 25 .

اعتماداً على نصوصه الدينية المقدّسة . يراه خيرَ دليلٍ ومنهجٍ لتحقيق آماله في الحياة . واليهود يعدّون أنفسهم شعب الله المختار والمميز ، لذلك يجب أن تُعطى لهم الأرض وتوكَّل إليهم أمورها لكي يتحكموا بها ويتصرّفوا في الحياة كما يشتهون . و من خلال أسطورة الأرض الموعودة يعتقدون أن الأرض الفلسطينية هدية لهم من قبل الله ويجب احتلال كامل هذه الأرض وتأسيس الدولة الدينية فيها تمتد من النيل إلى الفرات (النهر الكبير) " في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام عهداً قال : لنسلك أهب هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير ، نهر الفرات. [1] "

من هنا واعتماداً على ما رأينا في النصوص اليهودية من تعاليم وشرائع ، نستطيع أن نجمل أهم المفاهيم الّتي تشكلت لدى اليهود و مؤسساتهم الدينية والفكرية منذ ظهور العهد القديم ومروراً بالتلمود الذي كان له تأثير كبير في تجديد هذه المفاهيم و تعبئة عقلية و روح التمسك بها في الأوساط اليهودية . و مادامت هذه المفاهيم مستمدّة من أصول مقدّسة فإنها قطعت لنفسِها أيضاً طابع القداسة ، لذلك نرى أن اليهود عموماً يقدّسونها ويدافعون عن أهميتها وقدسيتها بشراسة . والمفاهيم هي :

1. إنهم شعب الله المختار والمميز من بين كل شعوب الأرض، والرب هو الذي أعطى لهم هذه المكانة .
2. إن أرض إسرائيل (أي فلسطين) هي أرض وعد الله أن يعطيها لليهود ، فهي ملك لهم ، وفلسطين عبرية تأريخياً ، وهم سكانها الأصليون والشعوب الأخرى التي جاءتها هي من الدخلاء . أي أن اليهود يرتبطون بأرض فلسطين دينياً و تأريخياً .
3. إنهم لا يتجانسون مع شعوب الأرض ، لأن الرب (يهوه) اختارهم ليكونوا له خاصة من بين جميع الشعوب " ... فإنكم تكونون شعبي الخاص بين جميع الشعوب ، فالأرض كلها لي . وأنتم تكونون لي مملكة كهنة و أمة مقدّسة. [2] "
4. النصوص اليهودية هي المنهج المقدس والوحيد في الحياة الإنسانية ، ويجب أن تجرى الأمور وفق تعاليم وشرائع هذه النصوص .

---

[1] التكوين 15 : 18 .

[2] الخروج 19 : 5 . 6 .

5. إنهم يمارسون حياتهم و أمورهم وفق الإرادة الإلهية وبحسب مخطط إلهي يرسم حياتَهم ومستقبلَهم ، لذلك هم تحت العناية الإلهية المباشرة[3] .

المطلب الثاني

نصوص ما بعد العهد القديم

نقصد بنصوص ما بعد العهد القديم الكتب التي جاءت بعد تدوين العهد القديم من قِبَل رجال الدين والكتبة منهم . وهذه النصوص تمثّل جلّ التعاليم الدينية والشرائع الفقهية و التراث الروحي والصوفي والمنهج السياسي والفكري . هذه النصوص نقسمها إلى قسمين حسب ظهورها التأريخي :

أولاً : التلمود (الشريعة الشفوية) .

ثانياً : القبّالاه (التراث الصوفي) .

أولاً : التلمود (Talmud الشريعة الشفوية Oral Law)

1. التلمود .. تعريفه و أقسامه

التلمود يعدّ من أهم مصادر الجماعات اليهودية و الفكر اليهودي (خاصة الإتّجاه التقليدي و الحاخامي الأرثوذكسي منه) . وذلك لأنه يمثّل العقلية الدينية اليهودية منذ القدم حتى يومنا هذا ، وقد اتفق اليهود بالإجماع على أنه يأتي في المقام الثاني بعد التوراة ، وقد تجاوز عدد كبير من الحاخامات عبر التأريخ هذا الحد و اعتبروه أسمى وأهم بل و أقدس من نصوص العهد القديم . لذلك فالتلمود يمثّل الخلفية الدينية للعقل اليهودي أوضح تمثيل ويكوّن السند الأساسي للديانة اليهودية على شكلها الحالي.

بالنسبة لتكوين وظهور هذا المصدر الديني المقدّس ، فإنه قد جاء في الأدبيات اليهودية أن التوراة الشفاهية (أي التلمود) قد أنزلت على سيدنا موسى في جبل سيناء ، ثم نقلت من بين خيرة القوم

---

[3] للمزيد حول هذه المفاهيم اليهودية الصلبة ومفاهيم أخرى ، أنظر نادر ، جان : مرتكزات الفكر السياسي الإسرائيلي الأميركي في النصوص التوراتية ، في الإنترنت ، شبكة الفسطاط . www. Alfostat . com ،

والزعماء الدينيين شفاهاً . فالمِشناه الّتي هي متن التلمود شريعة منزلة لكن موسى حملها ونقلها شفوياً وبقيت كذلك يتناقلها الحاخامون إلى حين تم تدوينها .

لكن التوراة بصورتها الحالية نزلت على سيدنا موسى مكتوبة . حسب زعم اليهودية . و أطلقت عليها تسمية (ناموس) . ومن هنا يطلقون على التلمود كلمة (التوراة الشفهية) أو (الشريعة الشفهية) وعلى التوراة أو نصوص العهد القديم كلمة (التوراة المدوّنة) أو (الشريعة المكتوبة) .

مع بدء القرن الثاني ق.م ، وخاصة بعد تدمير الهيكل المقدس ثانية (عام 70 م) ظهرت إلى الوجود تقاليد و تفاسير و شروحات مختلفة بين الناس . فبادرت الزعامة الدينية اليهودية إلى تصنيف التفاسير وتحريرها ، وأسفرت هذه المبادرة إلى مؤلَّف قام بتحريره و تنظيمه الحاخام (يهودا هاناسي) [1] Judah Hanasi في القرن الثاني للميلاد ، وسمّي هذا المؤلَّف (المِشناه) و معناها بالعبرية (المعرفة) ، Learning أو القانون الثاني ، Second law أو التكرار ، أو التعليم .
تقول موسوعة اليهود واليهودية " [2] : دوِّنت المشناه نتيجة تراكم فتاوى الحاخامات اليهود (معلمي المشناه) وتفسيراتهم وتضاعفها كمياً بحيث أصبح من المستحيل استظهارها، فبدأ تصنيفها على يد الحاخام هليل (القرن الأول الميلادي)، وبعده الحاخام عقيبا ثم مائير. أما الذي قيدها في وضعها الحالي كتابةً، فهو الحاخام يهودا الناسي (عام 189م) الذي دونها بعد أن زاد عليها إضافات من عنده (ولكن هناك من يقول إنه لم يدونها رغم اقترانها باسمه، وقد ظلت الأجيال تتناقلها حتى القرن الثامن الميلادي) . "

ويُعرف المعلمون أو الحكماء الذين ترد تعاليمهم في المشناه باسم (تنائيم) . واستمر عصر التنائيم الذي تم خلاله جمع مواد المشناه ، منذ تدمير الهيكل الثاني حتى بداية القرن الثالث للميلاد .
وفي الفترة ما بين القرنين الثالث و السادس للميلاد قامت مجموعة من الحاخامات عُرفوا بـ (الأمورائيم) بمناقشة هذا المؤلَّف (المشناه) ، و الزيادة عليه و شرحه و إدخال التعديلات والتوفيق بين أمور كانت تبدو كأنها متناقضة .. وكانت حصيلة هذا الإتجاه (الجِمارا) الشق الثاني للتلمود .
فالمشناه و الجمارا تشكلان معاً (التلمود) . و " التلمود كلمة مشتقة من الجذر العبري (لامد) الذي يعني الدراسة و التعلّم ، كما في عبارة (تلمود توراه) أي (دراسة الشريعة) و يعود كل من كلمة (تلمود) العبرية و كلمة (تلميذ) العربية إلى أصلٍ سامي واحد . [3] "

---

[1] يهودا الناسي (135–200) : يُعرف أيضاً بلقب «سيدنا القديس» .. ، أو «رابي» ..، أو «بطريرك» . وهو رئيس الجماعة اليهودية في فلسطين .. وجامع المشناه . أقام علاقة ودّية مع السلطات الرومانية في فلسطين ... و كان ملماً بالتراث الديني اليهودي، متمكناً بشكل عام من مضامين الشريعة الشفوية ... يُنسَب إليه جمع مواد المشناه وتصنيفها وتبويبها، كما يُنسَب إليه تقسيم المادة المجموعة إلى ستة أقسام / موسوعة اليهود واليهودية ، م 5 ج 2 ، ب 7 ، مدخل (يهودا الناسي (الأمـير)) 135–200 ().
[2] م 5 ، ج 2 ، ب 6 ، مدخل (المِشناه) .
[3] المرجع نفسه ، م 5 ، ج 2 ، ب 6 ، مدخل (التلمود : التأريخ) .

" وهذه الكلمة لم تقرر إلا بعد أن سبقها كلمتان كانتا الأساس لكلمة (تلمود) و هاتان هما (المشناه) و (الجمارا)، ومتعلّق المشناه الشريعة الشفوية المتوارثة من موسى ، و(الجمارا) شرح للمشناه . [4] "

إذن يتكون التلمود من شقين : المشناه والجمارا .

أ . المشناه Mishnah

المشناه تنقسم إلى ستة أقسام وتدعى هذه الأقسام سيداريم ، أي أنظمة و رسائل ، والأقسام الستة ينقسم كل منها إلى أقسام فرعية وتدعى بالعبرية (ماسيختوت) أي أبواب ، و أبواب المشناه 63 باباً ، وكل باب من المشناه ينقسم إلى فصول وأجزاء صغيرة تُسمى (بيراكيم) و هذه الفصول مجموعها 525 فصلاً وكل فصل مقسم إلى عدة فقرات . و لغة المشناه عبرية خاصة تسمى عبرية المشناه .

و الأقسام الستة (سيداريم) أي الأحكام Orders هي كما يلي : .

السدر الأول : زراعيم Zeraim (البذور) : يتألف هذا السدر من أحد عشر سفراً أو مقالةً . في هذا القسم توجد كافة القوانين الدينية المتعلّقة بالزراعة و الأرض وفيه تحديد الصلوات المفروضة مع الأدعية والبركات .

السدر الثاني : موعيد Moed (الأعياد و المواسم) أو (الأيام المقررة) : يحتوي هذا السدر على اثني عشر سفراً أو رسالةً تضمها أربعة مجلّدات ضخمة . وهذه الرسائل أو اللوائح تتعلق بالأعياد و أيام الصوم وتحتوي على طقوس و شعائر و فرائض و قواعد تنظيم التقويم العبراني .

السدر الثالث : ناشيم : Nashim يتضمن قوانين الزواج و الطلاق والنذور ، وهو سبعة رسائل.

السدر الرابع : نزيقين Nezekin (الأضرار) : يتألف من عشرة رسائل تشمل القوانين المدنية والجنائية .

السدر الخامس : قداشيم Kodashim (المقدسات) : يتألف من أحد عشر رسالةً يدور الموضوع الأساسي في هذا القسم من التلمود حول الطقس القرباني و التضحيات المتعلّقة بالهيكل . بصورة عامة يعني هذا السدر بقوانين الصلاة .

السدر السادس : طُهاروت Toharoth (الطهارة أو التطهيرات) : يحتوي على اثني عشر رسالةً عن قوانين الطهارة و النجاسة [1] .

---

[4]نويهض ، عجاج : بروتوكولات حكماء صهيون ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 154 .

[1]للمزيد حول الأقسام الستة للمشناه أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، م 5 ، ج 2 ، ب 6 ، مدخل (أقسام التلمود) ، و Jewish Encyclopaedia ، في موقعها على الإنترنت www. Jewish Encyclopaedia. com ، مادة . Mishnah

عدد كل الرسائل الموجودة في التلمود يبلغ 63 رسالة ، وكلها مقسمة إلى فصول وجمل . وعموماً أحكام المشناه إما عامة مجهولة المصدر ، وهي أحكام مقبولة ، وإما آراء الحكماء أو المعلمين ، وآراء الحاخامات هي المفضلة إذا وقع تعارض حول مسألة ما ..

ب . الجِمارا Gemara

اتضح لنا في السابق أن الجمارا هي شرح للمشناه . و كلمة (جمارا) آرامية تعني (التتمة) أو (الكتلة) أو (الدراسة) ، وهي شروح وضعها الفقهاء اليهود الذين يسمّون بالشراح (أمورائيم) في الفترة 220 . 500 م ، وهي تأخذ عادةً شكل أسئلة و أجوبة . و كما أن المشناه أطول من العهد القديم فإن الجمارا أطول من المشناه .

والجمارا إثنان : **جمارا أورشليم** (أو فلسطين) : وهي سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين لشرح المشناه ، ويرجع تأريخ جمعها إلى عام 400 م .

و **جمارا بابل** : وهي سجل للتفسيرات والمناقشات حول المشناه من قِبل حاخامات بابل وقد انتهوا من جمعها سنة 500 م تقريباً .

فمشناه مع شرحها (جمارا أورشليم) تسمى (تلمود أورشليم) . ومشناه مع شرحها (جمارا بابل) تسمى (تلمود بابل) ، وكلاهما يطبع على حدة .. ومن هنا يأتي تقسيم التلمود إلى هذين النوعين .. و تلمود بابل هو المتداول بين اليهود والمراد عند الإطلاق ، يعني عندما يُقال (التلمود) فإن المقصود به تلمود بابل عادةً .وجمارا بابل جُمعت في مدة مائة عام كاملة ، وظل الحاخامات المفسرون(صبورائيم) نحو مائة و خمسين سنة أخرى يراجعون هذه الشروح الضخمة حتى أخذت صورتها التى هي موجودة الآن .

و وجه الإختلاف بين التلمود البابلي و الفلسطيني ماثل في الجمارا و ليس في المشناه ، فالمشناه مشتركة بينهما .. ولغة الجمارا آرامية ، (الجمارا الفلسطينية) كتبت باللهجة الآرامية الغربية ، أما (البابلية) فكتبت باللهجة الآرامية الشرقية . و نسجت فيها كلمات عربية و سريانية و يونانية و لاتينية وكلدانية .

والتلمود يعتمد بصورة عامة على عنصرين في عرض النصوص ، بل يتكون من هذين العنصرين :

1. العنصر الشرعي و القانوني (هالاخي) الذي يذكرنا بأحكام الفرائض و التشريعات الواردة في أسفار الخروج و اللاويين والتثنية .

2. العنصر القصصي و الروائي و الأسطوري (أجادي) بما يشمله من الأقوال المأثورة

(والأخبار والخرافات والشطحات والخيال) إلى جانب السحر و التراث الشعبي (الفلكلور) ، ومعظم المشناه تشريع (هالاخاه) ، بينما معظم الجمارا قصص و أساطير (أجاداه) . [1]

2. نظرة حول التلمود

أ . مكانة التلمود

يعد التلمود مصدراً دينياً مهماً لليهود ، فالأحبار والحاخامات جعلوها منهجاً تعليمياً ، وإعلاناً عقائدياً وسياسياً وفقهياً و فكرياً لليهود . " منذ نهاية القرن السابع للميلاد، ومع مطلع القرن الثامن، صار التلمود العامل الجوهري في التجربة الدينية للجماعات اليهودية، إذ أصبح المعيار السائد المقبول في كل ما يتعلق بحياة اليهود وأعمالهم ونشاطهم الفكري. حتى أننا حينما نتحدث عن «اليهودية» بعد ذلك التاريخ، فإننا في واقع الأمر نتحدث عن «اليهودية الحاخامية»، أي «التلمودية». وقد استُخدم التلمود حتى نهاية القرن التاسع عشر أساساً للتربية بين أعضاء الجماعات اليهودية، فكان الدارسون في كثير من الجماعات اليهودية في الغرب يستذكرونه سبع ساعات يومياً طوال سبع سنوات . [1] "

وهو كتاب ضخم يضم كثيراً من العلوم والأدبيات المختلفة . و مجلداته وصلت في بعض الطبعات إلى ما يزيد عن عشرين مجلّداً ، لذلك نرى أنه يُشار اليه في الأوساط اليهودية بعبارة (كل بو) أي (كل به) بمعنى أنه يتضمن كل ما يحتاجه اليهودي في حياته من شرائع و تعاليم وأحكام .

تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن التلمود يشكل تجميعاً قانونياً لليهود ، وفي نفس الوقت يحتوي على المواد التي تحيط عملياً كامل مجالات الحياة و مواد البحث التي اكتشفت في العصر القديم ، فهو يتضمن مواضيع متنوعة كالزراعة ، والهندسة المعمارية ، والتنجيم ، و علم الفلك ، و تفسير الأحلام ، و الأخلاق ، و الخرافات ، و الفلكلور ، و الجغرافيا ، و التأريخ ، و الأساطير ، و السحر ، والرياضيات ، والطب ، والميتافيزيقيا ، وعلوم الطبيعة ، والأمثال ، وعلم اللاهوت ، والتصوف. [2]

وتذهب اليهودية التلمودية إلى أنه عندما ذهب موسى إلى جبل سيناء ليتلقى الوحي ، فإن الرب لم يعطه فقط توراة أو شريعة واحدة ، وإنما أعطاه توراتين أو شريعتين : إحداهما مكتوبة و الأخرى شفوية . " وجاء في المشناه (تلقى موسى التوراة من سيناء وسلمها إلى يوشع، ويوشع قام بتسليمها إلى

---

[1] للمزيد حول التلمود و الجمارا خاصة ، أنظر موسوعة اليهود و اليهودية ، المرجع نفسه ، م 5 ، ج 2 ، ب 6 ، مدخل (الجمارا ، التلمود : تأريخ) ، شلبي ، مقارنة الأديان ، ج 1 ، ص 270 . 271 ، Jewish Encyclopaedia ، مادّة . Talmud :

[1] موسوعة اليهود ، المرجع نفسه ، م 5 ، ج 2 ، ب 6 ، مدخل (الموضوعات الأساسية الكامنة في التلمود) .

[2] المرجع السابق ، Encyclopedia Britannica ، مادة . Talmud :

الشيوخ، والشيوخ إلى الأنبياء، والأنبياء سلموها بدورهم إلى رجال المجمع الأكبر، الذين قاموا بتسليمها إلى فقهاء اليهود " الحاخامات ") . [3] "

لكن تجدر الإشارة إلى أنه كان هناك اختلاف في وجهات نظر الفرق اليهودية المختلفة حول قبول الشريعة الشفوية أو قدسيتها و ربّانيتها.

فقد كان (الفريسيون) [1] من أشد المدافعين عنها . أما(الصدوقيون) [2] فقد كانوا من أهم معارضيها . و (الفريسيون) كانوا يدافعون عنها لأن ذلك كان يعني المشاركة في السلطة . وبظهور (المسيحية) حسمت القضية تماماً ، فسيطر التصور الفريسي على اليهودية ، ولكن مع هذا ، بدأ تدوين الشريعة الشفوية حتى تتمكن اليهودية من تمييز نفسها عن المسيحية التي ورثت العهد القديم و أكملته بالعهد الجديد . ويرفض (القراءون) [3] (المتأثرون بالفكر العربي الإسلامي و التوحيد الإسلامي) التراث الشفوي ، ويقصرون إيمانهم على شريعة موسى وأسفاره الخمسة . أما في العصر الحديث فقد جدّد الأرثوذكس إيمانهم بالشريعة الشفوية ، و (الإصلاحيون) قد نادوا بأنها محاولة بعض الحاخامات تفسير الكلام المقدس ، وهو تفسير غير ملزم لأحد لأنه مرتبط بحقبة تأريخية معينة [4] .

وكلا الطرفين(الأرثوذكسية التي تؤمن بالقانون الشفهي إيمان الفريسيين به ، و الإصلاحيون) متفقان على أن القانون الشفهي مَنَعَ القانون المكتوب من التجمد والصرامة ، بأن أضاف إليه عناصر جديدة و عادات شعبية ، وقوانين جديدة، أي أن اليهود استطاعوا تطوير قانونهم ليلائم الظروف الجديدة [5] .

---

[3]نقلاً عن موسوعة اليهود و اليهودية ، المرجع السابق ، م 5 ، ج 1 ، ب 1 ، مدخل (الشريعة الشفوية أو التوراة الشفوية) .

[1]الفرّيسيون : كلمة الفرّيسيون معناها المنعزلون و المنشقون ، هم فرقة دينية ظهرت بعد السبي البابلي ، ويسمون أنفسهم (الأحبار) أو (الأخوة في الله) أو (الربانيين)وهم يعتقدون أن التوراة بأسفارها الخمسة خلقت منذ الأزل ، وكانت مدوّنة على ألواح مقدسة ثم أوحي بها الى موسى . وبالإضافة إلى التوراة يقبلون الأشياء الخارجة عن الوحي، لذلك غزرت عندهم الأساطير . وقد آمنوا بالبعث و قيامة الأموات ، والملائكة ، والعالم الآخر ، و أكثرهم يعيشون في مظهر الزهد و التصوف ، لا يتزوجون ، ... لا يقدمون القرابين في المعابد . / شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 227، نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون، ج2 ، ص 145 .

[2]الصدّوقيون : يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة الى صدوق، أو صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان ، أو الى كاهن آخر بهذا الإسم ، وجد في القرن الثالث قبل البلاد . و الصدّوقيون كانوا على عكس الفرّيسيين يرفضون كل ما هو خارج عن الوحي المدون في أسفار التوراة ، وهم يقتصرون من التوراة على أسفار موسى الخمسة ، و ينكرون البعث و النشور و القيامة و الحساب و الجنة و النار ، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا ، و ينكرون أيضاً التعاليم الشفوية (التلمود) . / شلبي ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 230 ، نويهض ، المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 244.

[3]القرّاءون : كان القرّاءون يمثلون القلّة بين اليهود ، فلما تدهور شأن الفرّيسيين ، نما فريق القرائين وورث أتباعَ الفرّيسيين ونفوذهم . و القراءون لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً ،وليست عندهم روايات شفوية، ولا يعترفون بالتلمود ./ شلبي ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 231 .

[4]المرجع نفسه ، المدخل نفسه ، بتصرف .

[5]للمزيد حول موقف الأرثوذكسية و اليهودية الإصلاحية أو اليهودية المتحررة تجاه القانون الشفهي ، أنظر ، Jewish Encyclopaedia المرجع السابق ، مادة . Talmud

حول مكانة التلمود تشير بريتانيكا إلى المعارضة التي اصطدمت بها الشريعة التلمودية عبر تأريخها . فالتلمود على الرغم من المكان المركزي الذي يتمتع به في الحياة التقليدية اليهودية و في الفكر اليهودي ، فإنه قد عارضته بشدة مجموعات هامّة و أفراد .

فقد (أعلن الصوفيون اليهود) من القرون الوسطى أن التلمود مجرد صناعة أو صدفة تغطي المعنى المخفي للتوراة المكتوبة . و هناك طوائف مسيحية كثيرة في القرنين السابع عشر و الثامن عشر رفضت التلمود كلياً . و الضربة الحاسمة إلى السلطة التلمودية جاءت في القرن الثامن عشر و التاسع عشر عندما عَلْمَنَتْ حركة التنوير اليهودية (الهسكلاه) و بعدها (الإصلاحيون) الحياةَ اليهودية و بذلك حطّم الحائط التلمودي الذي أحاط اليهود .

و هناك تقليد طويل المدى بين المسيحيين لمعاداة الأدب التلمودي ، فإنه قد هوجم كثيراً من قبل الكنيسة ، خصوصاً أثناء العصور الوسطى . فقد اتهمته بتزييف المعنى التوراتي ، و باحتوائه ملاحظاتٍ كافرةً وشنيعةً ضد السيد المسيح والمسيحية ، و تحيّزه لوصايا أخلاقية و اجتماعية حاقدة وخطيرة نحو غير اليهود (الأغيار) . لذلك نرى في عصر سلطة الكنيسة في مناسبات عديدة أن التلمود أحرق علناً ، و أسست رقابة دائمة ضده . [1]

كثرة المواقف حيال التوراة ترجع إلى طبيعة نصوصها التي جعلت قارئيها يقفون على العبارات و يتظاهرون بمواقف و تصورات مختلفة . لكن عند الكثيرين من اليهود ظل التلمود المصدر الأساسي لحياتهم الذي استمدت اليهودية كثيراً من خصوصياتها منه .

ب . مضمون التلمود

لمّا جاء المسيح (عليه السلام) اجتمع الناس حوله و دان كثير ممن حوله برسالته التوحيدية الإصلاحية . وتضائل دور اليهود في المنطقة (خاصة أنهم في سنة 70 بعد الميلاد تعرضوا للتدمير و التشريد على يد الملك الروماني (تيتوس) كما أشرنا إليه في السابق) . فظهور ديانة جديدة . ومن أهم سماتها أنها توحيدية . و تدمير الهيكل نهائياً . الذي كان مركزاً للسلطة التشريعية والسياسية . كانا معاً جداراً مانعاً أمام الإمتداد اليهودي . و نتيجة لذلك تشتت اليهود و فك ارتباطهم و أصبحوا جماعات متفرقة في بقاع الأرض المختلفة .

فأول رد لليهود على ما كانوا يلاقونه من ظلم واضطهاد وفصل عن الواقع أنهم شرعوا بتدوين آراء حاخاماتهم و شروحاتهم و تفسيراتهم حول نصوص العهد القديم . مما أدّى في النهاية إلى تبلور كتاب (التلمود) . و طوال حياة الجماعات اليهودية المنتشرة في العالم أصبح التلمود الملجأ الروحي و النفسي لليهود ، بتعبير أدق إن الذي جعل اليهود يتشبثون بتعاليم التوراة هو الإنهيار المفاجئ لشوكتهم و إغلاق كل مدارسهم مرة واحدة ، الأمر الذي جعلهم يبحثون عن تعاليم جديدة للمرحلة القادمة ، و وجدوها

---

(1) المرجع السابق ، Encyclopedia Britannica ، مادة Talmud بتصرف .

في التلمود ، الذي يعلّمهم على مواصلة الحياة بالإنغلاق و العداء للأغيار و السيطرة على المجتمع تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية المسيطرة على العالم بقيادة الشعب المقدس .

إن المواضيع أو النصوص التي تكوّن هذا الكتاب خير دليل على أنه كان بمثابة الرد اليهودي لما يعانونه من تشريد و إبعاد عن السلطة و القدرة السياسية . فمن خلال النصوص نرى أنه " أصبح التلمود مجالاً للتعويض عما يلاقونه من اضطهاد ، فتحوَّل التلمود إلى صياغات لفظية يمارسون من خلالها الانتقام من أعدائهم ، عن طريق الحط من شأنهم وإظهار التفوق اليهودي ، وخصوصاً في آخر الأيام بعد عودة الماشيَّح حيث يبطشون ويبطش ربهم بكل أعدائهم. وقد كان شراح التلمود ينغمسون في هذه التهويمات اللفظية في الوقت الذي كانوا يعانون فيه صنوف العذاب ويُعامَلون معاملة الحيوان في بعض الأحيان. ومما له دلالته العميقة أن التلمود البابلي أكثر تسامحاً تجاه الأغيار من التلمود الفلسطيني، نظراً لأن وضع أعضاء الجماعة اليهودية في بابل كان أفضل من وضع أعضاء الجماعة في فلسطين، الأمر الذي صعَّد حدة العملية الانتقامية التعويضية في فلسطين وخفف من حدتها في بابل " [1] .

ولم يظل التلمود على حالته البدائية ، بل أضيفت اليه تعليقات شتى دامت حتى نهاية القرن التاسع عشر ، لذلك نرى أن كمّاً هائلاً من الشروح والتعليقات لمختلف الحاخامات و في مختلف الأزمنة والأمكنة قد تراكم في هذا الكتاب ، وبذلك تبلور كتاب ملئ بالتناقضات و الميول المختلفة للبشر و السخافات ...الخ.

يشبه محرر دائرة المعارف اليهودية التلمود بأنه : " دائرة معارف تشمل كلَ نواحي الحياة الإنسانية " ، " وأن الذي لم يقض سنين طويلة في دراسة التلمود لا يمكنه اكتشاف أغواره ، و أن التلمود المترجم لا يعطي فكرة صحيحة عن عظمته ، و أن التلمود بدون شروحه العديدة (كشرح الحاخام راشي (Rachi لا يعدو أن يكون كتاباً مغلقاً بقفل . [2] "

هذا المصدر الديني المهم للفكر اليهودي يضم نصوصاً كثيرة جداً بحيث إذا أردنا أن ندرسها بدقة فإننا نحتاج إلى دراسات كثيرة ، لذلك نكتفي بعرض بعض منها حتى نتعرف على بعض من طوابعها : .

1. *تقديس الذات اليهودي ، والعداء للأغيار*

أشرنا في السابق إلى أن اليهود تشبثوا بتعاليم التلمود لأنهم رأوا فيها ملاذاً عقائدياً ، إذ من خلاله يرجعون بعضاً من الشوكة و الجلال لوجودهم ، و يحاولون عزل الجماعات اليهودية عن المجتمعات ، وذلك عن طريق تعميق الطبيعة الإنعزالية لليهود و تقديس نفوسهم . و هذه الإنعزالية تعمقت إلى أقصى

---

[1] موسوعة اليهود واليهودية ، المرجع السابق، م 5 ، ج 2 ، ب 6 ، مدخل (سمات التلمود الأساسية) .

[2] المرجع السابق ، مادة . Jewish Encyclopaedia ، Talmud

حد ، إذ ظهرت عبارات تُقدّس الشعب اليهودي من جهة ، وتعدّ غير اليهود حيوانات و غير مستحقين بالتعاون ، وكاذبين بالفطرة ، و خُدماً للشعب اليهودي من جهة أخرى .

إليك أمثلة من النصوص التلمودية توضّح ذلك : .

. المخلوقات نوعان ، علوي وسفلي . العالم يسكنه سبعون شعباً بسبعين لغةً . إسرائيل صفوة المخلوقات ، و اختاره الله لكي تكون له السيادة العليا على بني الشر جميعاً ، سيادة الإنسان على الحيوان المدجّن.

. إن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءاً من الله ، فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه .

. يعلّمنا التلمود أنه لولا اليهود لامتنعت البركة من الأرض ، و انقطع المطر و انحجبت الشمس ، لذلك لا تستطيع شعوب الأرض الحياة بدون الإسرائيليين .

. إن غير اليهود كلاب عند اليهود بحسب تعليم التلمود المستند إلى الآية السادسة عشرة من الفصل 12 من سفر الخروج و قد جاء فيه أن الأعياد المقدّسة وضعت لإسرائيل و ليس للأغراب و الكلاب.

. أقتل الصالحَ من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها ، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين. [1]

- " لا يجب إخراج غير اليهود من بئر أو دفعهم في البئر " ويفسر موسى بن ميمون هذا الامر : " يجب الا نتسبب بقتل غير اليهود الذين لسنا فى حالة حرب معهم ، ولكن يحظر إنقاذ حياتهم إذا كانوا على مشارف الموت . اذا شوهد احدهم يسقط فى البحر ، مثلا ، فلا يجب إنقاذه ، لان الشريعة تقول : لا تهمل دم اخيك (اللاويين 19 : 16) ، وغير اليهودي ليس أخا . [2] "

. يفترض بغير اليهود انهم يكذبون بالفطرة ، ولا يحق لهم الإدلاء بشهادتهم أمام المحاكم الحاخامية. [3]

. " فى أحد الأجزاء الأولى من صلوات الصباح اليومية يحمد اليهودي ربه لأنه لم يخلقه من الأغيار ، اما فى الجزء الختامي للصلاة اليومية (تستخدم أيضا في صلوات رأس السنة ويوم الغفران) فيبدأ بهذه العبارة : فلنشكر اله الجميع لأنه لم يخلقنا مثل كل أمم الأرض ، لأنها تركع للباطل و العدم وتصلى لإله لا يعين ... كذلك فى أهم أجزاء صلاة نهاية الأسبوع ((التبركات الثماني عشرة)) هناك لعنة خاصة تستهدف أصلاً المسيحيين ومعتنقي المسيحية من اليهود واليهود المهرطقين : رب لا تجعل للمرتدين رجاء ولتمحق جميع المسيحيين في الحال . [4] "

---

[1]نقلتُ كل هذه النصوص عن نويهض ، عجاج : بروتوكولات حكماء صهيون ، المرجع السابق ، ص ص ص 171 ، 186 ، 191 ، و للمزيد من النصوص التلمودية الأخرى أنظر هذا المرجع ، ص 171 . 196 .

[2]نقلاً عن شاحاك ، إسرائيل : الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ، المرجع السابق ، ص 140 .

[3]نقلاً عن المرجع نفسه ، ص 158 .

[4]نقلاً عن المرجع نفسه ، ص 166 . 167 .

2. التصور التلمودي للإله

إن رؤية التلمود للإله رؤية حلولية قبيحة ، فهو يخلع العديد من الصفات الإنسانية و اليهودية على الإله ، و العصمة ليست من صفاته ، فقد جاء في التلمود أنه غضب مرّةً على بني إسرائيل فاستولى عليه الطيش ، فحلف بحرمانهم الحياة الأبدية ، و لكن ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه و لم ينفّذ قسَمَه لأنه عرف أنه فَعَل فعلاً ضد العدالة . و يقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير . [1]

ويعرض الأدب التلمودي صوراً عن الله لا تليق بشأنه سبحانه وتعإلى ، فحسب التلمود " هو يكون مشغولاً خلال اثنتي عشرة ساعة يومياً : يقرأ التوراة في الساعات الثلاث الأولى، ويحكم العالم في الثلاث التالية ، ويفكر في إفناء العالم ، ثم يترك كرسي القضاء إلى كرسي الرحمة ، ويجلس في الساعات الثلاث التالية يرزق العالم كله من أكبر الحيوانات إلى أصغرها. وفي الثلاث الأخيرة، يلعب مع التنين أو الحوت. والإله ، في التلمود ، متعصب بشكل كامل لشعبه المختار ، ولذا فهو يعبِّر عن ندمه على تركه اليهود في حالة تعاسة وشقاء حتى أنه يلطم ويبكي . ومنذ أن أمر بهدم الهيكل وهو في حالة حزن وندم، توقف عن اللعب مع التنين الذي كان يسليه، وأصبح يُمضي وقتاً طويلاً من الليل يزأر كالأسد. ولكنه في آخر الأيام، بعد إقامة المجتمع اليهودي الأمثل في العصر المشيحاني، في ظل الدولة المستعادة، يجلس على العرش يقهقه لانتصار شعبه . [2] "

و في إشارة إلى المساواة بين الإله و الشعب (ذروة الحلولية في الديانة اليهودية) يشير التلمود إلى أن الإله اختار اليهود لأنهم اختاروه . [3]

هكذا يصوّر التلمود الإله ، و هناك نصوص كثيرة تفترض اتّحاد الإله بالفرد اليهودي الّذي وحده فحسب يُطلق عليه اسم الإنسان . بل في بعض الأحيان يزعم التلمود أن الله يتشاور مع الحاخامات و الربانيين اليهود في الشؤون والمشاكل السماوية

---

(1)شلبي ، د . أحمد : مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 271 . 272 ، بتصرف قليل .

(2)موسوعة اليهود واليهودية ، المرجع السابق، م 5 ، ج 2 ، ب 6 ، مدخل (الموضوعات الأساسية الكامنة في التلمود).

(3)أنظر المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

، فقد جاء في التلمود : " إن الرباني مناحيم يطلعنا بالإتفاق مع كثير من العلماء على أن الله يأخذ رأي الربانيين العائشين على الأرض في المشاكل التي تنشأ في السماء " [(4)] .

3. أحكام وأخلاق رذيلة .

إليك أمثلة على ذلك لا تحتاج إلى تفسير و شرح : .

أ ـ " قال موسى : لا تشته امرأة قريبك ، فمن يزْنِ بامرأة قريبة يستحق الموت ، و لا يعتبر التلمود القريبَ إلا اليهودي فقط ، فإتيان زوجات الأجانب جائز ، واستنتج من ذلك الحاخام (راشي) أن اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عِرض الأجنبي لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد ، لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كبهيمة ، والعقد لا يوجد مع البهائم و ما شاكلها ، و قد أجمع على هذا الرأي الحاخامات (بشاي و ليفي و جرسون) فلا يرتكب اليهودي محرّماً إذا أتى امرأةً مسيحيةً، وقال (ميمانوه) إن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات أي الغير اليهوديات " [(1)] .

ويكشف إسرائيل شاحاك أن ممارسة يهودي الجنس مع امرأة غير يهودية ، لا يعتبر زنا يُلام عليها اليهودي حسب التلمود ، وجميع النساء غير اليهوديات عاهرات ، فقد جاء في كتابه (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) [(2)] : " تعتبر الممارسة الجنسية بين امرأة يهودية متزوجة و أى رجل غير زوجها جريمة كبرى تقع على عاتق الطرفين ، وواحدة من ثلاث خطايا بالغة الشناعة ، لكن وضع المرأة الغير يهودية مختلف تماماً ، إذ تفترض الهالاكاه ان جميع الاغيار على درجة عالية من الانحلال وتنطبق عليهم آية : (الذى لحمه مثل لحم الحمير ونطفته كنطفة الخيل) حزقيال 23 : 20 . ولا فرق سواء كانت المرأة غير اليهودية متزوجة أم لا ، حيث يعتقد اليهود ان مفهوم الزواج نفسه لا ينطبق على الاغيار (ليس ثمة زواج للوثنيين) لذلك لا ينطبق مفهوم الزنا على ممارسة الجنس بين يهودي وامرأة غير يهودية ... وقد جاء فى دائرة المعارف التلمودية : (من يقيم علاقة جنسية مع زوجة غير اليهودى لا يتعرض لعقوبة الموت لأنه مكتوب " زوجة اخيك " لا " زوجة الغريب " ، وحتى مفهوم ان(يلتصق الرجل بامرأته) لا ينطبق على غير اليهود لعدم شرعية زواج الوثنيين ... ومن المفترض ان جميع غير اليهوديات عاهرات) . "

ب ـ " قال الحاخام راشي : (مصرّح لليهودي أن يَغُشّ غير اليهودي و يحلف له أيماناً كاذبةً) " وجاء أيضاً : " غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا . [(3)] "

---

(4)نقلاً عن نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 184 .

[(1)]نقلاً عن شلبي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 274 .

[(2)]المرجع السابق ، ص ص 155 ، 157 .

(3)نقلاً عن المرجع نفسه ، ج 1 ، ص ص 273 . 274 .

ج . " اشترى الرباني كاهانا مئة و عشرين برميلاً نبيذاً من رجل غير يهودي ، لكنه لم يدفع له من الثمن سوى ثمن مئة برميل " أو " رباني آخر ، بعد أن باع لرجل غريب جذوع شجرة ، أمَرَ خادمَه قائلاً : إذهب واحفظ شيئاً من كل جذع لأن سرقة غير اليهودي جائزة_ . [4] "

د . " تعتبر الديانة اليهودية قتل اليهودى جريمة كبرى وواحدة من ثلاث خطايا شنيعة (الوثنية والزنا) وتؤمر المحاكم الدينية اليهودية والسلطات المدنية بإنزال العقوبة ، حتى بما يتجاوز الاحكام العادية للعدالة ، بحق اى شخص اتهم بقتل يهودى ، أما اليهودي الذى يتسبب فى موت يهودى آخر بطريقة غير مباشرة ، فانه مذنب فقط بما تطلق عليه الشريعة التلمودية تسمية خطيئة ضد ((شرائع السماء)) لذا يقع عقابه على الله لا على الانسان.
ولكن عندما تكون الضحية من غير اليهود يختلف موقف الشريعة تماما . اليهودى الذي قتل غير اليهودي مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء التي لا تعاقب عليها اما التسبب فى موت غير اليهودى بطريقة غير مباشرة فلا تعتبر خطيئة أبداً . [1] "

هـ . إن الكراهية والحقد ضد كل غير يهودي . في التلمود . وصلت إلى حد غريب ، بحيث تشمل كراهية اليهود أموات الأغيار أيضاً وليس الأحياء فقط . حيث " يتم تعليم الأطفال اليهود فعلياً مقاطع مثل تلك التي تأمر كل يهودي كلما مر بجوار مقبرة أن يدعو بالرحمة اذا كانت يهودية ، وان يلعن أمهات الموتى إذا كانت المقبرة غير يهودية . [2] "

د . التلمود كتاب السحر و الشعوَذَة و الخرافات

هناك أدلة تُظهر حقيقةَ هذه المقولة ، هاك بعضاً منها : .

. " جاء في التلمود أن حاخاماً خلق مرّةً إنساناً بأن نطق اسم الإله الأعظم و أرسله إلى الحاخام زعيرا الذي تحدّث إليه ، ولكنه لم يستطع أن يجيب ، فتعجب الحاخام قائلاً : (أنت مخلوق بفعل السحر ، إرجع إلى التراب) " [3] .

. قال ساحر فرنسي كبير يُدعى (اليفاس ليفي) : " إن التلمود هو الكتاب الأساسي لكل أنواع السحر . [4] " هناك نصوص كثيرة في التلمود تعلّم قارئها طرق السحر والتعاويذ ، تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [5] ولأن كُتَّاب التلمود يدورون في نطاق حلولي، فإننا نجدهم يؤمنون بإمكانية التحكم الكامل

---

[4]نقلاً عن نويهض ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 193 .

[1]نقلاً عن شاحاك ، إسرائيل : الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ، المرجع السابق ، ص 132 .

[2]المرجع نفسه ، ص 34 .

[3]نقلاً عن موسوعة اليهود واليهودية ، المرجع السابق ، م 5 ، ج 2 ، ب 6 ، مدخل (الموضوعات الأساسية الكامنة في التلمود).

[4]نقلاً عن نويهض ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 185 .

[5]مدخل (الموضوعات الأساسية الكامنة في التلمود) ، المرجع السابق.

والتوصل للحل السحري ... وبفاعلية العلاجات العجائبية والعقاقير الشيطانية والسحر والرقى والتعاويذ. والتلمود أيضا كتاب تنجيم وسحر وتفسير أحلام. ومما يُذكَر فيه أن قارئه الراغب في رؤية العفاريت رؤية العين يمكنه ذلك باتباع خطوات تم تحديدها بدقة متناهية، وإن أراد طرد العفاريت فصفحاته تضم تعاويذ تفي بذلك الغرض. "

. وعلى صعيد الخرافات نرى أن التلمود تأثر بالمحيط الذي نشأ فيه ، فتأثَرَ بالخرافات و الحكايات الشعبية الموجودة في الفكر البابلي القديم أو الفكر الفارسي القديم . خاصة إذا علمنا أن اليهود تأثروا كثيراً بحضارة بابل حينما كانوا هناك ، و لمّا استولى الفرس على السلطة في بابل و فلسطين أخذوا مكانةً مرموقةً لذاتهم في فكر اليهود ونصوصهم الدينية التي كانت في مرحلة التبلور آنذاك . مثلاً فكرة التناسخ في التلمود مصدرها الفكر الفارسي . و هنا نذكر مثالين في التلمود للتوضيح فقط و ليس للحصر : .

- " كان آدم كبيراً جداً حتى لامس برأسه قبة السماء . ولما كان ينام كان رأسه يبلغ آخر العالم من الجهة الشرقية ، و رِجلاه تصلان إلى الغرب من الجهة الثانية . و صنع الله له كوّةً كان يرى من خلالها العالم بأسره . لكن لما أخطأ آدم صغّره الله ومسخه بالهيئة البشرية الحاضرة. [1] "
- " إبراهيم أَكَلَ أربعةً و سبعين رجلاً و شرب دماءهم دفعةً واحدةً ، ولذلك كانت له قوة أربعة وسبعين رجلاً . [2] "

ما أوردناه كان نبذةً قصيرةً عن كتاب التلمود ، ولا نستطيع في هذه الدراسة أن نطوّل الموضوع أكثر من هذا . وبقي أن نشير إلى أن التلمود جاء أشد عدوانيةً من التوراة ، وقد حمل الإعلان عن الكراهية و العدوانية ضد كل الناس مع ذكر المسيحيين بالإسم . لذلك كان سبباً كبيراً لخلق أزمات و نكبات كثيرة لليهود . فالمسيحيون ثاروا ضدهم في العصور الوسطى عندما اطّلعوا على ما في التلمود ضد المسيحيين و السيد

---

[1]نقلاً عن نويهض ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 186 .

[2]نقلاً عن المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 186 .

المسيح ذاته (عليه السلام) . إذ جاء في التلمود أنه ابن غير شرعي حملته أمه و هي حائض سفاحاً من العسكري (بانذار) .

يقول إسرائيل شاحاك " : [3] ينبغي الإقرار من البداية أن التلمود والأدب التلمودي (بصرف النظر من الطيف المعادى للأغيار الذي يسرى فيهما ...) يحتوى على مقاطع معادية جداً ووصايا موجهة أساساً ضد المسيحية .على سبيل المثال . إضافة للاتهامات الجنسية البذيئة ضد يسوع . ينص التلمود ان عقوبة يسوع في الجحيم هي إغراقه في غائط يغلى . "

ونرى في نصوص كثيرة من التلمود أنه يُباح قتل المسيحيين وتخريب بيوتهم بل يُعد ذلك أمراً ضرورياً . والتلمود يحمل العداء لكل من يتّجه في الحياة اتجاهاً غير يهودي كما اصطلح عليه اسم (الغويم) أي : الأغيار . لذلك نعتقد أن التلمود وراء كل العدوانية و الإباحية و كل الأخلاق الرذيلة للجماعات اليهودية عبر التأريخ . وهذا الكتاب هو الذي يزوّد اليهود والفكر اليهودي بالأشياء التي يحتاجونها ، وكان عمدة كبيرة لحفظ الديانة اليهودية ، فاليهودية بعد ظهور المسيحية تتنفّس بالتعاليم التي يروّج لها التلمود .

خطر التلمود لا يكمن فقط في عدائه للفكر التوحيدي الذي دعا إليه الأنبياء جميعاً (ومن ضمنهم أنبياء اليهود) بل هو يحمل في طيّاته الكثيرَ من الحقد و الكراهية للإنسانية جميعاً . فهو يريد أن يخلق مجتمعاتٍ تكون عبيداً لليهود بكل ما في الكلمة من معنى ، أي بأن يكونَ اليهود مالكي ثروات و ممتلكات و أعراض و خصوصيات هذه المجتمعات كلِها .

و تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [4] يجب أن نقرر مع جيمس باركس، وهو مؤرخ غير يهودي متعاطف مع اليهودية، قوله : (إنه لم يكن من الصعب أن يقتبس أي دارس للتلمود ، وبيسر شديد ، كثيراً من الآراء والمشاعر التافهة والمضحكة بل الكريهة) ... وهذا هو رأي المؤلف اليهودي الصهيوني برنارد لازار أيضاً ، الذي وصف التلمود بأنه " كتاب ضد المجتمع ". وقد لعب دوراً حاسماً في تحويل اليهود إلى شعب واحد ، فهو الذي صنع النفس اليهودية وصاغ خصائصها، وهو (خالق الجنس أو صانع العنصر اليهودي) ، و(هو الذي علَّم اليهود الاستعلاء والتفوق المليء بعصبية ضيقة وضارية) . "

---

[3] الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ، المرجع السابق ، ص 28 .

[4] مدخل (الموضوعات الأساسية الكامنة في التلمود) ، المرجع السابق.

ومنذ زمن سحيق يبلغنا القرآنُ الكريم هذه الحقائقَ في آيات كثيرة منها ، مثل : " لتَجِدنّ أشدَّ الناسِ عداوةً للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا " . [1] " سمّاعون للكَذِب أكّالون للسُّحت [2] " أو " كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأَها اللهُ ويسعون في الأرض فساداً . [3] "

هذا المصدر جاء ليُرسخَ في ذاكرة اليهودي ما عمل له المصدرُ الأول (العهد القديم) . والقاعدةُ المشتركة بينهما التي تمثّل مبدأً الأفعال هي : أن الشعب اليهودي اصطفاه الإله (يهوه) ليكونَ شعبَه الخاص الذي يمثّل الإرادةَ الإلهيةَ في العالم الأرضي ..

ثانياً : القَبّالاه .. Kabbalah التراث الصوفي

القبالاه مصدر آخر لليهودية والفكر اليهودي ، وهي من المصادر المقدّسة أيضاً . والقبّالاه هي نتيجة أخرى ولدت بسبب وجود الصفة المطاطية للنصوص

[1] سورة المائدة : 82 .
[2] سورة المائدة : 42 .
[3] سورة المائدة : 64 .

المقدسة عند اليهودية . أي أنها امتداد لظاهرة التوسّع الكمي و النوعي للنصوص اليهودية .

فاليهود لم يكتفوا بالتلمود ، بل أحدثوا نوعاً آخر من التفسيرات للنصوص أطلقوا عليه مفهوم التأويلات الباطنية ، و بمرور الزمن أخذت هذه التفسيرات لنفسها نمطاً خاصاً في عملية قراءة النصوص الدينية ، ما أدّى إلى تبلور صناعة جديدة في التفسير لفهم النصوص أطلقت عليها كلمة (القبّالاه).

وقد عرفت دائرة المعارف اليهودية القبّالاه بأنّها : " نظام فلسفي ديني ، ومذهب باطني يتعلّق بالله والكون ، والقبالاه جزء من القانون الشفهي اليهودي ، إذ هي الفهم الباطني التقليدي للتوراة ، و تشدد على الأسباب و فهم الوصايا . و تتضمن القبالاه فهم المجالات الروحية في الخلق ، و القواعد أو الطرق التي فيها يدير الله وجود الكون . [1] "

فالقبّالاه " هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود. والاسم مُشتَّق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف ، أي «التقاليد والتراث» أو «التقليد المتوارث». وكان يُقصَد بالكلمة أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم «الشريعة الشفوية»، ثم أصبحت الكلمة تعني، من أواخر القرن الثاني عشر، «أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة» (إلى جانب مدلولها الأكثر عموماً باعتبارها دالاً على سائر المذاهب اليهودية الباطنية منذ بداية العصر المسيحي) . وقد أطلق العارفون بأسرار القبَّالاه («مقوباليم» بالعبرية و«القبَّاليون» بالعربية) على أنفسهم لقب «العارفون بالفيض الرباني . [2] " »

وقد ادّعى اليهود أن القبالاه ونصوصها منزلة وحياً ، ومن هنا أصبحوا يقدّسونها و يعتبرونها مصدراً مقدّساً لديانتهم . " قال لويس غنزبرغ L. Ginsberg أستاذ التلمود في المدرسة اللاهوتية في نيويورك (1902) : القبالة مصطلح يراد به

---

[1] المرجع السابق ، مادة . Kabbalah Jewish Encyclopaedia ،

[2] موسوعة اليهود واليهودية ، المرجع السابق، م 5 ، ج 2 ، ب 8 ، مدخل (القبّالاه : تأريخ) .

التعليم الباطني المتعلّق بالله و الكائنات ، ونزل هذا وحياً على أكرم القديسين في الزمن القديم الاقدم ، واحتفظ به عدد قليل من الأخيار . [3] "

ولتوضيح واقع القبالاه وصيرورتها نمطاً باطنياً في التأويل والتفسير " قال صاحب كتاب (تأريخ
اليهود من أقدم الأزمنة إلى العصر الحديث) ، هـ . هـ . فلمان : القبالة سر فوق الأسرار . ادعت القدم ، والوحي والرواية عن الأوائل . و القبالة كانت قائمةً على علم التنجيم السحري ، تعاطاه كثيرون فسمّوا (الحكماء) ، وجعلوا هذا الإسم يتضمن المعنى الباطني لتفسير (الناموس والأنبياء) درسوا التلمود ثم اجتازوه إلى تعاليم هي أعلى و أبعد . [1] "

التراث القبالي أصبح مصدراً مقدساً لدى اليهود و في بعض المراحل التأريخية نرى أنه يتفوق ويرتفع شأنه حتى يحلّ محل العهد القديم و التلمود .

والقبالاه بدورها تنقسم إلى قسمين : نظري و عملي .

فالنظري هو : العلوم القبالية و المعارف الباطنية حول الخالق و المخلوق ، وبتعبير أدق حول الفيض الرباني . و أما **العملي** فهو : طرق خاصة تستخدم اسم الإله و المعادل الرقمي للحروف (جماتريا) و الأرقام الأولية و الإختصارات (نوطيرقون) للسيطرة ، فالقبالاه في وجهها العملي ترتبط بعدد من العلوم السحرية ، مثل : التنجيم ، والكيمياء ، والفراسة ، وقراءة الكف ، وعمل الأحجبة ، و تحضير الأرواح.

ومع ابتعادها عن التقاليد الحاخامية استوعبت عناصر كثيرة من التراث الشعبي تمثّل الإزدهار الأقصى للتفكير الأسطوري و الحلولي في اليهودية . [2]

هذا بالنسبة للتراث أو العلم القبالي . أما من ناحية نصوص هذا التراث فإن كتاب الزوهار يُعدّ من أهم كتب التراث القبالي . بل أصبح تُنسب القبالاه إلى هذا الكتاب ليشكّل مصطلحاً واحداً يكون مصدراً مقدساً عند اليهود وهو (قبالاة الزوهار) Zohar Kabbalah .

---

(3)نقلاً عن نويهض ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص204 . 205 .

[1]نقلاً عن المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 205 .

[2]موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (القبّالاه : تأريخ) ، المرجع السابق ، بتصرف .

وحينما تكون الإشارة إلى القبالاه بشكل عام ، أو إلى قبالاه دون تخصيص ، فإن المقصود عادةً هو قبالاة الزوهار ، أو (القبالة النبوية) الإسم الثاني لقبالاة الزوهار .. وكلمة الزوهار (Zohar) عبرية تعني (الإشراق) أو (الضياء) . والزوهار تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم .

وينسب هذا الكتاب إلى أحد معلّمي المشناه (تنائيم) الحاخام شمعون بن يوحناي (القرن الثاني) و إلى زملائه . و لكن يُقال إن موسى ليون (مكتشف الكتاب في القرن الثالث عشر) هو مؤلّفه الحقيقي أو مؤلّف أهم أجزائه ، وأنه كتبه بين عامي 1280 و 1285 .

والزوهار ثلاثة أقسام : الزوهار الأساسي ، والزوهار ذاته ، و الزوهار الجديد .

وبعد مرور مائة عام على ظهوره ، أصبح الزوهار بالنسبة إلى المتصوفة في منزلة التلمود بالنسبة إلى الحاخاميين ، و قد شاع الزوهار وأخذ يُثبت أهميته و قداسته في العقل الصوفي اليهودي حتى احتلّ مكانةً أعلى من مكانة التلمود ، [3]

وهكذا نرى أن اليهود يقدسون النصوص و يتجاوبون معها حسب انسجام هذه النصوص مع الظروف والملابسات التي يعيشونها . فمرة شريعة مسمّاة بـ (الشريعة المكتوبة) وأخرى تقديس شريعة شفوية وتفضيلها على النصوص السابقة ، ثم تأتي شطحات و تقمصات وأفعال سحرية تحتل مكانةً أرقى من النصوص الماضية و تقطع لنفسها القداسةَ بسهولة.

هناك كتب أخرى خدمت كثيراً التراث القبالي و أضافت أشياء لم تكن موجودة بالزوهار ، أو كانت موجودة لكن بشكل مختلف من الناحية الفكرية و العقيدية .

ومن أهم هذه الكتب هو كتابات(إسحق لوريا)التي سمّيت بـ (القبالاه اللوريانية) ، Lurianic Kabbalahو هي أهم تطور حدث في تأريخ القبالاه ، و هي لا تختلف في أساسياتها عن قبالاة الزوهار ، لكن هناك اختلافات في المسائل الجزئية . [1] و الواقع إن الكتب القبالية جميعاً كتب تفسير للعهد القديم بطراز مختلف عن طريقة التلمود ، إذ استَعمَلَتْ في تفسير أسفار التوراة الأسلوبَ الصوفي و التأويلَ الباطني . وأصبحت هذه الكتب بمرور الزمن الشريعة الشفوية ..

إن الكتب و الكتابات القبالية عبر تأريخها رسخت المذهب الحلولي في التصوف اليهودي ، فهي تبحث عن الألوهية في كل الأشياء ، و تبحث في العلاقة بين ماهية الحياة الإلهية والحياة البشرية . لذلك نرى أن تصوفاً حلولياً أو غنوصياً خاصاً نشأ في النظام القبالي اليهودي ، هذا التصوف لا يعتبر الإله

---

[3]المرجع نفسه ، م 5 ، ج 2 ، ب 9 ، مدخل (قبالاة الزوهار و القبالاه اللوريانية) و (الزوهار) ، بتصرف .

[1]المزيد من المعلومات حول القبالاه اللوريانية ، تأريخها و مضمونها و اختلافاتها مع الزوهار ، أنظر المرجع نفسه ، م 5 ، ج 2 ، ب 9 ، مدخل (القبالاه اللوريانية) ، وانظر ، Jewish Encyclopaedia المرجع السابق ، مادة . Kabbalah

الإرادة القوية التي تتجاوز الطبيعة ، بل يزعم أن الإله في مرحلة ما يتّحد بالكائن الصوفي الذي يصل درجة (العالم بالفيض الرباني) .

"فالتصوف اليهودي يتجه نحو الإتحاد مع الإله والإلتصاق به (ديفيقوت) ، و هو اتحاد يؤدي إلى وحدة الوجود (ووحدة الوجود يفترض أنها تؤدي إلى الكشف الصوفي لطبيعة الإله و إمكانية التواصل معه ثم التحكم فيه . [(2)] "

كتاب (الزوهار) النص الأساسي للقبالاه كان أيام ظهوره بطئ الإنتشار و التأثير . لكن حين طرد اليهود في إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر و تحديدا سنة 1492 م ، اجتمع اليهود حوله لِما رأوا فيه من معان روحية و التبشير بمجئ المخلص (المسيح) خاصة في هذه المرحلة و بتأثير النكبات و الأزمات والويلات التي تعرض لها اليهود تغلغلت في القبالاه تياراتٌ مرتبطةٌ بمجئ المخلِّص و بيوم القيامة . واعتبرت الحلقات الصوفية آنذاك أن هذه النكبات دليل على قرب مجئ مخلّص اليهود .

يقول عجاج نويهض " : [(3)] في هذه الأوقات علا كتاب (الإشراق) ، وأقبل عليه اليهود لغرائبه و استبداده بالشعور (الصوفي) ، فوجدوا فيه متنفساً لآمالهم ، وتعزيةً لهم عما كانوا فيه من ويلٍ وانحلال ونكبة . و غبّر (الإشراق) في وجه التلمود ، كما أن التلمود غبّر في وجه التوراة . ويقول بعض كتاب اليهود ان حركته الروحية كانت أقوى حركة ظهرت بعد خراب الهيكل . "

منذ ذلك الحين امتد تأثير (الزوهار) إلى إيطاليا ، وأفريقيا الشمالية ، و تركيا ، وانتشرت القبالاه كذلك وامتدت إلى بولندا و ليتوانيا ، وعموماً تأثرت أوروبا كثيراً بالتراث القبالي .

وقد انتقدت القبالاه من وجوه عديدة كان أخطرها هو : أن القبالاه تتخلّى عن التوحيد وبدلاً من ذلك تروّج للثنائية أي الإعتقاد بأن هناك نظيراً خارقاً لله ، أو أنها من خلال فكرة التجليات العشرة (سيفيروت) [(1)] تذهب إلى الفكرة (ذلك الله يكون واحداً ، ورغم ذلك من الممكن أن يكون في ذلك الواحد هناك عشر) و هذا مشابه للإعتقاد المسيحي في الثالوث الذي يصرّح بأنه (بينما الله واحد ، ولكن في ذلك الواحد هناك ثلاثة أشخاص) . هذا الجدل قد حدث بين بعض اليهود الأوروبيين في

[(2)] موسوعة اليهود ، المرجع نفسه ، م 5 ، ج 2 ، ب 8 ، مدخل (الصوفية اليهودية " القبالاه ") .

(3)بروتوكولات حكماء صهيون ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 214 . 215 .

[(1)] هي : تجلّيات الإشعاعات الصادرة من النور الذاتي للإله، وهي التي أوجدت العالم، فهي جذر المخلوقات، وهي الواسطة وحلقة الوصل بين الإله والكون . والتجليات النورانية العشرة هي : . **1. كيتر (أو كيثر) عليون ، أي التاج الأعلى للإله 2 . الحوخمه ، أي الحكمة 3.** البيناه، أي الفهم أو الذكاء **4.** جيدولاه، أي «العظمة» وأحياناً يشار إليه بكلمة «حسيد»، وهو حب الإله الفائض والرحمة **5.** جبوراه، أي القوة أو السلطة **6.** تفئيرت، أي الجمال، ويشار إليه أيضاً بمصطلح «رحاميم» أي «التعاطف» **7.** نيتسح ، وهو التحمل ، أو الأزلية والنصر **8** - هود ، أي جلال الإله **9** - يسود عولام، أي أساس العالم 10. ملكوت ، أو المملكة ... موسوعة اليهود واليهودية ، المرجع السابق ، م 5 ، ج 2 ، ب 8 ، مدخل (التجليات النورانية العشرة " سفيروت ") .

القرن السابع عشر . وكان هناك معارضون آخرون للقبالاه و قد صرح بعضهم بأن القبالاه كانت (أسوأ من المسيحية) ، لأنها جعلت الله إلى 10 ، وليس فقط إلى ثلاثة .[2]

وبالرغم من الإنتقادات من قبل عدد صغير من الأحبار ، فإن القبالاه ظلت لعدة قرون الجزءَ الأساسي لعلم اللاهوت اليهودي ، خاصة في الفترة ما بين 1500 و 1800 م . وكسبت القبالاه جمهوراً آخر خارج الجالية اليهودية . فقد بدأت النسخ المسيحية للقبالاه بالتطور من قبل البعض أوائلَ القرن الثامن عشر . و قد اهتم بها أيضاً علماء و فلاسفة السحر ، ومجموعات دينية جديدة أخرى .

---

[2] للتفصيل حول الإنتقادات الموجهة الى القبالاه أنظر ، **Jewish Encyclopaedia** المرجع السابق ، مادة . **Sephirot**